من الأدب الحديث

في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية

تأليف
دكتور علي علي مصطفى صبح

الناشر
دار المريخ
الرياض - المملكة العربية السعودية

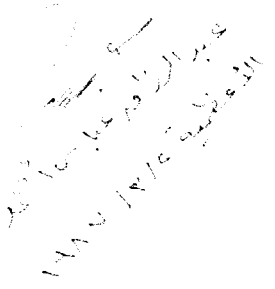

من الأدب الحديث
في
ضوء المذاهب الأدبية والنقدية

من الأدب الحديث

في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية

تأليف

دكتور علي علي مصطفى صبح

الطبعة الأولى

١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ

الناشر:

دار المريخ

الرياض - المملكة العربية السعودية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز اعادة طبع او ترجمة او استنساخ او تصوير جزء من اجزاء الكتاب بأية وسيلة دون اذن كتابي من الناشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين .

وثب الأدب العربي الحديث وثبة قوية بعد ضعف وركود هزت جوانبه بالحياة والقوة والابتكار ، وأعانه على ذلك عوامل ثرة وروافد متدفقة ، نبعت من ظروف الحياة في العصر الحديث ، فظهر الأدب بجميع فنونه في صورة جديدة أحياناً ، وفي لباس مبتكر حيناً آخر . فكان هذا الأدب جديداً في ألفاظه وأساليبه ، وصياغته ، ونظمه وأخيلته وصوره ، وإيقاعه وموسيقاه ، وأوزانه وقوافيه ، ومعانيه وأغراضه ، ومضمونه وموضوعاته ، أنواعه وأقسامه وأعلامه ورواده ، وبيئاته ومصادره ، ومذاهبه واتجاهاته . وهزت هذه الخصائص الفنية الجديدة كيان الأدب العربي في كل إقليم ومكان ، مشدودة بوحدة الدين واللغة واللسان لأن كل الشعراء والأدباء في الوطن العربي الكبير يلهج في أدبه بلسان عربي مبين سواء أكان يعيش في مصر أو الشام أو في السعودية والكويت ، أو في المغرب والعراق ، أو في تونس واليمن ، أو في فلسطين والجزائر ...

ومن خلال النصوص الأدبية الحديثة التي سيكشف التحليل والنقد عن خصائصها ومذاهبها واتجاهاتها ، وعن مكانها ومنزلتها من التقليد أو التجديد أو الابتكار يتميز الأدب بعصر يختلف كثيراً عن عصور سابقة ، تمثل واقع العصر الذي نعيشه ونحياه، نسأل الله سبحانه أن ينفع به ، والله ولي التوفيق .

المؤلف
دكتور علي علي مصطفى صبح
جامعة الازهر
والاستاذ المشارك بكلية التربية
جامعة الرياض

القسم الأول

الحياة الأدبية في العصر الحديث

تمهيد :

سبق العصر الحديث عصران من العصور التاريخية : وهو الحكم المملوكي ، والحكم العثماني وقد شهد العصر المملوكي التقدم العمراني ، والازدهار الفكري والثقافي ، وتبع ذلك استواء الحياة الأدبية لأنه كان قريب الاتصال بالعصر الذهبي في أدبنا العربي وهو الدولة العباسية ، ثم كان العصر العثماني الذي أدخل الثقافة العربية في ليل طويل وجمود فكري وأدبي ، أسلم ذلك الأمة العربية إلى محنة الاستعمار حين تآمرت عليها دول أوربا واقتسموا ما أسموه « بتركة الرجل المريض » .

وهناك أسباب أدت إلى الانهيار والضياع وهي كثيرة منها : —

١ — ما اتصف به الحكم العثماني من الظلم والجور ومصادرة الأموال .

٢ — انتشار الفقر والجهل في البلاد التابعة لها .

٣ — شيوع الضيق والخوف في أبناء الأمة العربية .

٤ — ضياع التراث الفكري والأدبي ، ونهب الكتب والمؤلفات .

٥ ــ حشد العلماء والأدباء والمهندسين والصناع في تركيا وترك البلاد العربية الأخرى خلواً من الفكر والأدب والعلم .

٦ ــ نهب أموال الأوقاف ، وحرمان العلماء منها .

٧ ــ العمل على إلغاء ديوان الانشاء .

٨ ــ فرض اللغة التركية على العرب وجعلها اللغة الرسمية .

٩ ــ انهيار الأخلاق والآداب في الأمة .

كل هذا أدى في النهاية إلى ضعف الثقافة ، وضيق الفكر ، وفساد الأذواق ، وتأخر الأمة العربية في شتى المجالات ، بينما كانت أوربا تقطع شوطاً بعيداً في النهوض الفكري والثقافي والعلمي والأدبي ، ودخلت بعده في عصر النهضة الأوربية الأخيرة .

ولا يخفى علينا أن الأسباب السابقة إذا لحقت بأية أمة فلا يمكن بحال أن تقوم لها قائمة ، ويظهر ضعفها وتأخرها في شتى النواحي الفكرية والثقافية ، ولذلك ترى أن الحياة الأدبية تتسم بالمظاهر الآتية : .

١ ــ اتسم الأدب بالضعف والابتذال .

٢ ــ انتشرت فيه الأخطاء اللغوية والنحوية .

٣ ــ شاعت فيه العامية ، وتسربت إليه بعض الألفاظ التركية .

٤ ــ الإغراق في التصنع والتكلف .

٥ ــ ضعف الشعور عند الأديب وانحطاط الذوق الأدبي .

٦ ــ الاهتمام باللفظ دون المعنى ، والعناية بالزخرف وأثقال الزينة في التعبير .

٧ ــ انتشار الزجل الذي يظهر على حساب الانهيار الأدبي .

٨ – اختفاء شخصية الأديب وشيوع التقليد المزيف .

٩ – ضحالة الفكرة وتفاهة المعنى .

١٠ – ضعف الخيال وجفاف صوره الأدبية .

وهذه هي أبرز خصائص الأدب في العصر العثماني وقريب منها في العصر المملوكي قبله، ثم يأتي العصر الحديث بعد ذلك، فيسهم بقوة لأسباب كثيرة في التقدم الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي والعلمي والأدبي .

ونخص الدراسة بالناحية الأدبية . فقد تعددت في العصر الحديث الأغراض ، وتنوعت الموضوعات واتسم الأدب أيضاً بالسهولة والوضوح ، وعمق الاتجاه الانساني ، والوحدة العضوية ، والتجربة الشعورية ، وابتكار المعاني ، وصدق العاطفة ، والتحليل النفسي ، والتأملات الفلسفية ، وجدة الصور وابتكارها ، والتجديد في الموسيقى الشعرية .

الادب في العصر الحديث

الأدب في كل أمة هو صورتها الحقيقية ومرآة لواقعها الفكري والثقافي ، لذلك كان رقي الأدب في العصر الحديث نتيجة للرقي السياسي والاجتماعي ، والعمق في الحياة العقلية والوجدانية في بداية القرن التاسع عشر ، بعد يقظة الوعي القومي الذي تفجر عن أساسين كبيرين وهما : الاتصال بالغرب وحضارته ، وإحياء تراثنا العربي الفكري والأدبي . وسنتناول الأساسين بنوع من التفصيل .

١ – الإتصال بحضارة الغرب :

تنوعت الطرق التي شقها الانسان العربي في التعرف على علوم الغرب وثقافته والتي كانت من أحد العوامل في نهضتنا الفكرية والأدبية وهـذه الطرق هي : –

١ – الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م وما أحدثته هذه الحملة من التبادل في الرأي ، وتمازج في الفكر ، والعمل على تكوين مجتمع حر يعتمد على أبناء الشعب الذين يباشرون أعمالهم بأيديهم ويقررون مصير أمتهم ، مما اضطر الخديوي اسماعيل أن يفتتح مجلس شورى النواب بالقلعة في نوفمبر سنة ١٨٦٦م ، وكان المجلس سبباً في التعبير الحر ، وفي أسلوب الجدل والحوار ومنبراً للخطابة النيابية التي تعبر عن رغبات الشعب .

٢ – حركة الاستشراق ، وهي حركة ذات حدين : أحدهما خفي مسموم وعن طريق غير مباشر . وهو النيل من الدين الاسلامي ، والتهوين من أمره ، لأنهم يضمرون له الكيد والحقد .

وثانيهما: ظاهر مفيد أفاد كثيراً في الرقي الثقافي والأدبي، حيث أسهموا كثيراً في الدراسات العربية، فنشروا المخطوطات في ليدن وباريس وبرلين، قدموا أبحاثاً في اللغة والأدب العربي، فوجهوا الباحث العربي إلى الدقة في التحقيق، وصحة الأسانيد، وعمق البحوث وإصابة التبويب، وفهرسة الموضوعات والأعلام، ودقة الملاحظة وصحة الحكم، وخاصة فيما يتصل بالشعوب، أما ما يتصل بالذوق العربي فقد أخفقوا فيه كثيراً، وكان من عيوب دراستهم. وأنشأوا جمعيات للدراسات العربية وسموها: الجمعيات الآسيوية.

وأشهر المستشرقين: بروكلمان صاحب «تاريخ الأدب العربي»، وجب في مؤلفه: الميول الحديثة في الاسلام، وادوارد وليم لين، وكليمانت هوارت، وبلاشير وغيرهم.

٣ ــ الترجمة: وهي من الطرق التي أفادتنا بعلوم الغرب وفكره، وقام بها علماء من الشام هاجروا إلى مصر وبخاصة في النثر الأدبي من قصص ومسرحيات نثرية وهم الذين أسسوا الفن المسرحي، وأسهموا في بناء صرح الفن الصحفي: مثل سليم نقاش وأديب اسحاق ويعقوب صنوع، ونجيب حداد وسليمان البستاني، فترجموا الألياذة وبعض المسرحيات العالمية مثل رواية «السيد» لكورني و«البخيل» لموليير، وروميو وجوليت لشكسبير وغيرها.

ومن المترجمين المصريين رفاعة رافع طهطاوي، ومحمد عثمان جلال وغيرهما.

٤ ــ البعثات إلى الخارج وإيفاد الأساتذة من الغرب ليقوموا بالتدريس في الجامعات المصرية.

٢ ــ إحياء التراث الفكري والأدبي:

أ ــ سرت الحركة الفكرية في أبناء الأمة وعلمائها القلائل وخاصة بعد قدوم جمال الدين الأفغاني إلى مصر عام ١٨٦٩م ذلك

الثائر على الاستعمار والجمود ، والفيلسوف الحكيم ، والمصلح المجدد، ومكث أربعين يوماً التقى بكبار المفكرين فيها آنذاك وتتلمذوا على يديه وبخاصة الشيخ محمد عبده ، وعبد الكريم سليمان ، وإبراهيم الهلباوي وسعد زغلول ، وعبد الله النديم ، وقاسم أمين، وحسن عاصم ، وحسن عبد الرازق ، وغيرهم .

ثم عاد اليهم مرة ثانية عام ١٨٧١م بعد أن نفته الاستانة واستقبله تلاميذه ، واستأجر منزلاً في حارة اليهود بعد أن أجرى عليه رياض باشا راتباً شهرياً ، واتخذه مدرسة له ، ينشر فيها على طلابه المعارف والعلوم من منطق وفلسفة وتصوف وتفسير ، وعقائد وأصول الفقه والفلك ، والتاريخ ، ومن خلال ذلك يهذب طلابه بالأخلاق الفاضلة ، ويدعوهم إلى الإصلاح والاجتهاد في العلم ، والجرأة والحرية والتبصير بالشئون السياسية ، وحقوق الشعب وواجبات الحاكم ، وأخذ يكتب هو والشيخ محمد عبده في صحافة الحكومة في التربية والفلسفة وحرية الرأي .

ودرّس الشيخ محمد عبده في الأزهر وفي دار العلوم ومدرسة الألسن التاريخ الاسلامي والعلوم العربية ، والمنطق والعقائد والفلسفة ، ودعا إلى الاجتهاد ، كل ذلك على نحو جديد لم يألفه الطلاب من قبل .

والتقى الصاحبان الأفغاني ومحمد عبده في باريس حيث المنفى ، وألفا معاً جمعية العروة الوثقى للدفاع عن الإسلام وبث الوعي في الشعوب الإسلامية ، ومناهضة الاستبداد في الحكم وإقامته على الشورى والوحدة الشاملة بين دول الشرق ، ومن أجل هذا أنشأ مجلة « العروة الوثقى » وصدرت عام ١٨٨٤م لتنادي بالمبادئ السابقة ، ولكنها صودرت بعد ذلك مما اضطر محمد عبده أن يؤلف جمعية أخرى هو وميرزا محمد باقر ،

وهي « جمعية التأليف والتقريب » في بيروت ، وهكذا استمر محمد عبده في جهاده وكفاحه لإنارة الوعي العربي ، حتى عاد من منفاه إلى مصر عام ١٨٨٨م ليبدأ كفاحه في إيقاظ الشعب العربي من غفوته وتفجير الثورة الفكرية والأدبية .

ب — يرجع الفضل في إحياء التراث إلى علي باشا مبارك حيث ألف « جمعية المعارف » عام ١٨٦٨م التي قامت بطبع المخطوطات من تراثنا القديم للجاحظ وبشار وأبي نواس والبحتري والآمدي والجرجاني في كتابه « دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة » وقد عني بتحقيقهما الإمام محمد عبده ، وأصبح هذا التراث في متناول الجميع ينير الفكر ويهذب الذوق ، ويسلم به اللسان من اللحن والعامية .

جـ — وكان لتأسيس « دار الكتب عام ١٨٧٠م) « أثر كبير في نشر الثقافة العربية وتراثنا القديم حيث قدمت لطلاب العلوم ما كان محبوساً في التكايا ، وقصور الحكام ومقصوراً عليهم بعيداً عن أيدي الشعب وطلاب العلم والمعرفة .

د — الجامعة المصرية : حيث نشأت فكرة الجامعة عام ١٩٠٨ وسميت بالجامعة الأهلية ، قام بالتدريس فيها أساتذة من مصر والغرب ، حتى أصبحت جامعة رسمية عام ١٩٢٤م ، وكان لها دور كبير في إحياء التراث القديم .

هـ — الجامع الأزهر : وفيه التقى الطلاب بأساتذة لم يعرفوا بالجمود ، بل عرفوا بالانطلاق الفكري مثل الإمام محمد عبده والشيخ حسين المرصفي والشيخ سيد بن علي المرصفي وغيرهم ممن كان لهم الأثر الكبير في تنبيه الطلاب إلى سحر اللغة العربية وبلاغتها وأدبها ، في أسلوب عذب ، وملكة أصيلة ، وذوق عال ، وفكر سديد ، وغير ذلك مما جذب أنظار الطلاب واستولى على قلوبهم .

وهذان الأساسان هما اللذان بنيت عليهما النهضة الأدبية الحديثة وساعدا على نبع عوامل كثيرة أدت إلى ازدهار الأدب في هذا العصر .

والحركة الأدبية في العراق لم تظهر إلا بعد أن بعث البارودي الحياة الأدبية من الشعر العربي ، وكان من أبرز روادها الرصافي والزهاوي . فديوان الزهاوي الأول « الكلم المنظوم » صدر في عام ١٩٠٨ م ، وديوان الرصافي الأول صدر في عام ١٩١٠ م . والشاعران بحق زعيما الحركة الأدبية في العراق .

وقبل هذه الحياة الأدبية بقرن ظهرت في نجد حركة تجديدية في الفكر والحياة أرساها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ ، ١٧٠٣ م — ١٢٠٦هـ ، ١٧٩٢م) وبعينه في دعوته الإمام محمد بن سعود ، وقامت هذه الحركة على التوحيد في أول كتاب لابن عبد الوهاب : « كتاب التوحيد » ثم « فضل الإسلام » . وكتاب « نصيحة المسلمين » ثم « معنى الكلمة الطيبة » ثم « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وغيرها من الكتب التي تقوم على أساس أن لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام ... إلا من القرآن والسنة المبينة له والسير في مسارهما... وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان ، وبيان تقريب المنقول من المعقول ، وعدم المنافرة بينهما ، فالعقل يكون شاهداً ولا يكون حاكماً » [1] .

وأساس هذه الحركة مستمد من مذهب ابن حنبل ومذهب ابن تيمية وتركت هذه الدعوة أثراً كبيراً في الحركة الفكرية ، فتحرر العقل من الجمود والتخلف ، مما أدى إلى تلك الحياة الأدبية بعد ذلك في الأدب الحديث .

---

(١) المذاهب الاسلامية : الشيخ محمد ابو زهرة ص ٢١٥ .

العوامل التي أثرت في ازدهار الأدب الحديث

وكان من أهمها هي :

أولاً : التعليم :

١ ــ خضع التعليم أثناء حكم الأتراك لسياسة العثمانيين التي كانت تهدف إلى محاربة العلم ونشر الجهل، لكي يتمكنوا من استمرار حكمهم ما عدا مصدرين كانا يخفق فيهما شعاع العلم :

أ ــ الكتاتيب : وتقوم بتعليم القراءة وتحفيظ القرآن الكريم .

ب ــ الأزهر الشريف موطن النور والمعرفة والقيادة الفكرية والروحية للعالم العربي .

٢ ــ بعد أن استقل محمد علي عن الحكم التركي عمل على نشر التعليم تحقيقاً لأطماعه وآماله ، فأنشأ المدارس العسكرية والهندسية والصناعية ، ثم مدرسة للطب ، ومدرسة للفنون ، وأوفد بعثات إلى أوربا لتعود إلى التدريس في المدارس ، وأغلقت هذه المدارس في عهد الخديوي عباس ، وأعيد فتحها في عصر الخديوي إسماعيل ، وأضاف إليها مدرسة دار العلوم ومدرسة الحقوق ، ومدرسة السنية للبنات .

٣ ــ وفي أثناء الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م خضع التعليم لسياسة

الاستعمار، حيث اقتصره دناوب الانجليزي على التعليم الذي يخدم الجهاز الحكومي، ووظائف الدواوين، ثم استقبلت مصر البعثات التبشيرية والتي كان هدفها القضاء على الشخصية العربية، وللتصدي لها أنشئت مدرسة القضاء الشرعي، ثم أنشئت الجامعة الأهلية ١٩٠٨م، والرسمية ١٩٢٤م، إلا أنها كانت مقيدة بالرسوم الجامعية بحيث لا يلتحق بها إلا أبناء الطبقة الغنية، ولا يجرؤ على الالتحاق بها أبناء الكادحين البؤساء.

٤ – وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م لتحطم قيود التعليم القديمة فيصير مجاناً حسب الكفاءة العلمية لا الدرجة المالية، وتوسعت فيه فتعددت المدارس والمعاهد والجامعات والكليات، ومراكز البحوث والدراسات العليا، والتعليم الأجنبي تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتربية والتعليم، والأزهر الشريف.

ثانياً : البعوث العلمية والترجمة :

عملت مصر منذ نهضتها على وصل ثقافتها بالثقافة الغربية فاستقدمت من أوروبا الأساتذة للذين تتلمذ على أيديهم أبناء الأمة في شتى فروع العلم، وقام العلماء بترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة العربية بواسطة الأساتذة أو أبنائها الذين ابتعثوا إلى أوربا أو تخرجوا من مدرسة الألسن، التي ترجمت أكثر من ألفي كتاب.

ومن أبرز المبعوثين رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣م) فقد مكث في أوربا خمس سنوات، ترجم فيها ثمار الفكر الأوربي، وعاد إلى مصر ليفتتح مدرسة الألسن، حتى تتوفر للبلاد فئة تجيد الثقافتين العربية والأجنبية، وقد وقف بجانب المصريين في الترجمة بعض السوريين، الذين فروا من استبداد الحكم التركي، وكذلك طلاب الجامعات الذين تعلموا اللغات الأجنبية وكذلك المجامع العلمية في دمشق وفي مصر وفي العراق والمجلات العلمية

والأدبية ، ووزارة التعليم العالي والثقافة والإرشاد والمجلس الأعلى للفنون والآداب ، الذي أنشأ مشروع « الألف كتاب » .

أثر الترجمة في النثر الأدبي :

كان للترجمة أثر كبير في أغراض النثر الأدبي وفنونه ، حيث أهملت الفنون القديمة كالمقامات والرسائل ، وظهرت المقالة الأدبية والأقصوصة والقصة والمسرحية وفن التراجم ، وفن السيرة .

ولها أثر كبير في مذاهب النثر ، فقد ظهر المذهب التحليلي : الذي يعتمد فيه الكتاب على التحليل والتعليل مستمدين فكرهم من الدراسات النفسية — والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية .

وظهر المذهب الفلسفي ويتجه إلى ذكر البراهن والأدلة والمقدمات والنتائج .

وظهر المذهب العلمي : الذي يقوم على البحوث العلمية المنظمة القائمة على الحقائق والأفكار وتنسيقها معتمدة على الملاحظات والتجارب والاستنتاج.

وللترجمة أثر في الأسلوب حيث تخلص كتاب النثر من السجع والمصنعة المتكلفة ، وجنح إلى السهولة والوضوح في الألفاظ ، والاهتمام بالمعنى والدقة في التعبير .

أثر الترجمة في الشعر :

وظهر أثرها في فنون الشعر وأغراضه ، فاختفت الأغراض القديمة من المدح الشخصي والهجاء الشخصي والرثاء الشخصي ، وظهرت فنون جديدة وهي الشعر المسرحي والشعر القومي ، والملاحم الشعرية .

وظهر أثرها في مضمون الشعر وشكله ، فقد ظهرت التجربة الشعرية

والوحدة العضوية ، والعمق في المعنى ، ودقته ، ومن حيث الشكل الذي تنوعت فيه الأوزان والقوافي وتجلت الصورة الأدبية في أجمل صورها .

ثالثاً : إحياء التراث العربي :

دفعت المطابع العلماء إلى إحياء التراث العربي ، فنشروا كتباً قيمة من تراثنا اللغوي والأدبي وبخاصة محمد عبده ، وعلي باشا مبارك ، وأحمد زكي ، وأحمد تيمور .

وعملت على إحياء التراث أيضاً دار الكتب المصرية ، والهيئات العلمية في مصر وبغداد ودمشق ، ودور النشر بالقاهرة ودمشق وبيروت والرباط ، والجامعة العربية التي أنشأت معهد المخطوطات حيث قام بتصوير المخطوطات الكثيرة من دور الكتب في البلاد المختلفة .

وكان لإحياء التراث من البيان والتبيين ، والحيوان للجاحظ ، وأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها . وكان لحركة الاحياء أثرها في اليقظة الفكرية ، والرجوع إلى أصالتنا العربية ، لكي تبني النهضة الأدبية على الأصالة العربية والثقافة الغربية في نهضتها الحديثة .

رابعاً : الصحافة :

كانت الصحافة لا وجود لها في مصر ، حتى الحملة الفرنسية التي نبهت المصريين إلى هذا اللون الفكري فقد أثر في اللغة والفكر والأدب ، واتخذت هذه المراحل : —

١ — كانت أول صحيفة مصرية هي الوقائع المصرية ، لكنها كانت مقصورة على الأنباء الرسمية والتقارير الحكومية ، ولم تكن لسان الشعب المترجم

عن آرائه وفكره الحر ، واتخذت لغتها التركية في أول الأمر ، ثم كانت مزيجاً من العربية والتركية ، ثم العربية وحدها ، وكان رئيس القسم العربي فيها هو رفاعه الطهطاوي .

٢ ــ وأنشأ علي مبارك مجلة « روضة المدارس » وتولى رئاسة تحريرها رفاعة الطهطاوي ، واشترك في تحريرها عبد الله فكري ، وعبد الله الفلكي ، والشيخ حسونة النواوي وغيرهم . وكانت رسالتها التعبير عن العلوم والفنون واللطائف وشتى ألوان الفكر وتيارات التجديد في أسلوب سهل ولفظ فصيح .

٣ ــ وفي أثناء الثورة العرابية ظهرت الصحافة السياسية بلسان عبد الله النديم ومحمد عبده ، والأدباء الذين وفدوا من سوريا ولبنان وأسهموا في الصحافة السياسية ، في صحف (الأهرام ١٨٧٥م) وفي (المقطم ١٨٨٨م) ثم ظهرت بعد ذلك صحيفة « المؤيد » للشيخ علي يوسف . وصحيفة « الأستاذ » لعبد الله النديم ، وصحيفة « اللواء » لمصطفى كامل ... وهكذا تعددت الصحف وبخاصة بعد ثورة ١٩١٩م .

٤ ــ وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م ظهرت الصحافة الحديثة التي تعبر عن مطالب الشعب وتتصدى للمستعمرين في كل مكان لتحمي المصالح الوطنية وتساير التقدم العلمي والفكري والأدبي .

أثر الصحافة في الفكر واللغة والأدب :

أ ــ عملت على تعميق الفكر وإيقاظ الوعي القومي .

ب ــ أثرت في الرأي العام ووجهته إلى التقدم في شتى المجالات .

جـ ــ خلصت الأسلوب الأدبي من قيود الصنعة وأثقال الزينة .

د ــ أسهمت في ازدهار النقد الأدبي والسياسي والإجتماعي .

هـ ــ ربطت الشعب العربي بتيارات الفكر العالمي والجديد فيه .

خامساً : المكتبات :

كان لهـــا دور كبير في نهضتنا الأدبية الحديثة ، وقبل ذلك ظل التراث مكدساً في خزائن سلاطين تركيا أو بعيداً في مكتبات أوربا واستطاع علي مبارك أن يصل العالم بتراثه فأنشأ « دار الكتب ١٨٧٠م » وضم فيها ما كان مبعثراً في المساجد والتكايا، وسراديب القصور، حتى أصبحت بعد ذلك أكبر مكتبات الشرق . هذا بالإضافة إلى المكتبات الأخرى في البلاد العربية مثل الزيتونة بتونس ، والظافريـــة بدمشق ، والقرويين بالمغرب ومكتبة المدينة المنورة ومكتبة مكة المكرمة، ثم مكتبة الجامع الأزهر ومعاهده، والمكتبات الجامعية ، ومكتبات وزارة التربية والتعليم في مدارسها .

سادساً : المجامع العلمية والجمعيات العلمية والأدبية :

وكان لهذه الهيئات العلمية أثر كبير في خدمة اللغة الغربية ، وفي تعريب المصطلحات العلمية والفنية ، ونشر التراث العربي . وقد عبرت عن نشاطها في مجلة تنشر فيها بحوثها العلمية .

ومن أبرز هذه الهيئات الجمعية السورية في بيروت ١٨٤٧م ، ثم الجمعيات العلمية والأدبية بالشام والعراق ومصر والمغرب ، وكذلك المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٢٢م ، والمجمع العلمي العراقي ببغداد ، والمجمع اللغوي بمصر ١٩٢٣م .

سابعاً : الإستشراق :

أطلق الاستشراق على فئة من علماء الغرب ، تخصصوا في دراسة لغة الشرق وعلومه وتاريخه وتراثه . ومرَّ الاستشراق بمراحل ثلاث : ــ

١ – مرحلة دراسة اللغة العربية وأدبها وفكرها ، وذلك منذ القرن العاشر الميلادي وقبل عصر النهضة .

٢ – والمرحلة الثانية ظهرت فيها أغراض المستشرقين من أهداف استعمارية وأخرى دينية تبشيرية ، وجندت لذلك مدارس تعلم اللغة العربية لتفهم عقلية أهلها ، فيسهل عليهم استعمار بلادهم .

٣ – وفي المرحلة الثالثة تيقظ الشرق لأهداف المستشرقين الاستعمارية والدينية وتصدى علماء العرب لهم فحولوا اتجاههم لخدمة البحوث الفكرية وخدمة العلم والتاريخ والفكر الانساني .

طرق الإستشراق :

كان للمستشرقين مجالات مختلفة ينشرون عنها بحوثهم، ووسائل كثيرة لنشر نشاطهم وإنتاجهم العلمي وهي : –

١ – الجمعيات ، ومعاهد الاستشراق التي جمعوا فيها ذخائر التراث الشرقي .

٢ – خزائن المحفوظات بالمكتبات الغربية ، التي نشرت بحوثهم ومنها : الجمعية الأسيوية بباريس ١٨٢٠م ، والجمعية الملكية الأسيوية بلندن ١٧٢٣م، ومراكز الاستشراق في مدريد وروما – وموسكو، وصقلية وغيرها .

٣ – في المؤتمرات الدولية التي كان يعقدها المستشرقون ، حيث يلتقي فيها العلماء من شتى أنحاء العالم ، كما حدث في مؤتمر باريس سنة ١٨٧٣م ، وفي آخر المؤتمرات في أمريكا من المؤتمر السابع والعشرين سنة ١٩٦٧م .

من المستشرقين :

بروكلمان وليتمان من ألمانيا ، ومرجليوث وجب من إنجلترا ، ودى ساس وماسينيون من فرنسا ، وأمارى وجويدى من ايطاليا ، وكراتشكوفسكي وخالدوف من روسيا ، وجيروهمان من تشيكوسلوفاكيا وغيرهم من مختلف بلاد أوربا .

أثرهم في الفكر واللغة والأدب :

لاشك أن لهم أثراً كبيراً في شتى الاتجاهات ، وإن كان يؤخذ عليهم التعصب الديني ، وكثيراً ما كانوا يطعنون في الإسلام من الخلف تحت تستر الاهتمام بالدراسات العربية ، ولكن آثارهم تجلت في : —

١ — قام المستشرقون بتأليف دائرة المعارف الإسلامية ونشرها فقد ظهرت سنة ١٩٠٨م .

٢ — كان لهم دورهم في تأسيس الجامعات العربية والتدريس بها ، فوجهوا الدارسين إلى الاتجاهات الجديدة في التدريس والدراسة .

٣ — تتلمذ على أيديهم الكثير من رواد الفكر والأدب في نهضتنا الحديثة .

٤ — نبهوا الشرق إلى عظمة تراثهم فسارعوا إلى حفظه والعناية به وصوروا منه ما كان في مكتبات أوربا ليكون تحت أيديهم .

٥ — إن المستشرقين أنقذوا تراثنا العربي من الضياع وحافظوا عليه في مكتبات أوربا الكثيرة .

ثامناً : المسرح التمثيلي :

لم يعرف المسرح التمثيلي في الشرق قبل القرن التاسع عشر ثم نشأ على مراحل : —

١ ــ ظهر المسرح التمثيلي في بيروت في منتصف القرن التاسع عشر .

٢ ــ عرضت أوبرا عايدة في مصر « بدار الأوبرا » بمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م .

٣ ــ جاء إلى مصر سليم نقاش وأديب إسحاق وغيرهما ، بفرقهم ليقدموا روايات مترجمة كثيرة .

٤ ــ رجع جورج أبيض من ايطاليا ليؤلف فرقة للتمثيل في سنة ١٩١٤م .

٥ ــ ألف يوسف وهبي فرقته في ١٩٢٣م وتتابعت بعد ذلك الفرق المصرية وبخاصة فرقة نجيب الريحاني .

٦ ــ ظهر كثير من رواد الأدب المسرحي مثل أحمد شوقي في مسرحياته الشعرية وعزيز أباظة وعلي أحمد باكثير ، وتوفيق الحكيم .

أثر المسرح التمثيلي :

١ ــ نشطت حركة الترجمة ، وتعريب المسرحيات الغربية .

٢ ــ عمل المسرح على ازدهار الأدب المسرحي .

٣ ــ أصبح المسرح مدرسة شعبية لها عشاقها .

٤ ــ قام المسرح بتهذيب الذوق وصقله ، وتعميق الوعي السياسي والاجتماعي والنقد الأدبي ، وعالج المشكلات الاجتماعية ، ونقل إلينا الاتجاهات الجديدة والمذاهب الحديثة في المسرح الغربي الحديث .

تاسعاً : الإذاعة :

ظهرت الإذاعة المسموعة في مصر عام ١٩٢٣م ثم تكاملت في صورة رسمية عام ١٩٣٢م ، أما الإذاعة المرئية « التليفزيون » فقد ظهرت في مصر عام ١٩٦٠م ثم انتشرت في البلاد العربية بعد ذلك .

أثرها :

١ ــ كانت منافساً قوياً للصحافة ، يستفيد بهـــا كل الناس : الأمي والقارئ ، والمتعلم وغيره .

٢ ــ عملت على تقوية الصلة بين العالم في الشرق والغرب .

٣ ــ أدت دورها الحي في التبادل الفكري والوجداني بين الشعوب العربية وبين غيرها من الدول حيث فرض الاستعمار القيود على الصحافة لمصالحه الذاتية .

٣ ــ قربت بين اللهجات العربية ، وبين العامية والفصحى ، إذ اتخذت التوسط في الأسلوب السهل القريب التناول .

٤ ــ ابتكرت فنوناً إذاعية جديدة من البرامج والأحاديث الأدبية والنقدية والدينية والسياسية والعلمية وغيرها ، مما كان له الأثر الكبير في النشاط الفني والأدبي وتعميق الوعي القومي بين العرب ، ليكون الأدب إنسانياً .

المدارس الأدبية في العصر الحديث

كانت العوامل السابقة لها الأثر القوي في تفجير اليقظة العربية ونمو الوعي القومي وتعميقه ، مما أدى إلى اهتمام العالم العربي بألوان الفكر والثقافة وتراثه القديم ولغته العربية وأدبها ، في صيحات قوية وعزمات جبارة عن رفاعة الطهطاوي وعلي باشا مبارك والأفغاني ومحمد عبده وأحمد لطفي السيد وعبد الرحمن الكواكبي ، وعلى أثر ذلك نشأت طبقات الشعراء المجددين ، ومدارس التجديد في الأدب من كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية وسريالية وغيرها .

وسنعرض هذه المدارس الأدبية لنتعرف على خصائصها الأدبية وأهدافها وقوتها وروادها وأثرها في الأدب العربي .

المدرسة الإتباعية « الكلاسيكية »

ظهرت المدرسة الإتباعية « الكلاسيكية » في بداية نهضتنا الأدبية الحديثة إذ سبقت كل المدارس اللاحقة بل عدها النقاد هي الأساس الأول الذي اعتمدت عليه المدارس الأخرى ، والمنبع الثرار الذي أفادها كثيراً ، ولولاها لما تحققت للشعر الحديث الأصالة العربية ، والقوة والجزالة في الأسلوب ، وسارت على الإتجاه الجامد للشعر في العصر العثماني السابق .

لذلك عد رائدها البارودي هو زعيم المجددين في شعرنا ، ورائد الإتجاهات العديدة في أدبنا العربي ، وسار على نهجه تلامذته ومريدوه وبخاصة حفني ناصف ، وولي الدين يكن ، وإسماعيل صبري ، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وأحمد محرم ، والرصافي ، والزهاوي ، والكاظمي ، وفؤاد الخطيب ، وشكيب إرسلان وهؤلاء قد التزموا باتجاه البارودي في شعره في شتى النواحي من المعنى واللفظ والأسلوب والخيـــال والصور والغرض .

وإن زاد بعضهم تجديداً في مدرسة البارودي وبخاصة المتأخرون منهم مثل الجارم والأسمر ، وعلي محمود طه ، وعزيز أباظه ، ومحمود غنيم وعلي الجندي ، ورضا الشبيبي ، وبشارة الخوري ، وحمزة شحاته ، وعمر أبي ريشة ، ومحمد عبد الغني حسن ، وغيرهم ممن أضافوا جديداً في المعنى والصور والأخيلة والأغراض .

الخصائص الفنية لمدرسة البارودي :

كان الشعر قبل البارودي يتعثر في قيود الصنعة ، ويتخبط في أثقال الزخرف والزينة ، حتى هيأ الله له من ينشله من عثرته ، وينقذه من تخبطه ، وهو صاحب السيف والقلم ، محمود سامي البارودي ، فشاد بناءه ، وأحسن نظمه ورفع لواءه ، وأحكم رصفه ، وقطع بعضهم أشواطاً في الإبتكار والتجديد وبخاصة في المعاني والأغراض الشعرية ، وهم ممن عنوا بالثقافتين العربية والأوربية كالشعر المسرحي عند شوقي ، والإجتماعي والوطني عند حافظ إبراهيم ، والشعر الوجداني والعاطفي عند إسماعيل صبري .

وتميزت أساليبهم بالبلاغة العربية الأصيلة ، والفصاحة في اللفظ ، والبعد عن المبالغات في التصوير ، وقلة المحسنات البديعية ، وما جاء منها أتى

عفواً، مع العناية بالمعنى والإهتمام بالفكرة، بعد أن سيطر اللفظ لفترة طويلة مع تفاهة المعنى وضعفه .

ونرى في شعرهم جزالة اللفظ وفخامة الكلمة، وإحكام الأسلوب ورصانة التركيب ، ووضوح النهج ، وشرف الغرض ، وجلال المعنى ، وتلاحم النسج ، وعذوبة الموسيقى ، وإشراق الديباجة ، ورعاية الوزن والموسيقى .

وأما من حيث الأغراض الشعرية ، فقد نظم شعراء المدرسة في شتى الفنون والأغراض فنظموا في الفخر والمدح والرثاء ، ولكنهم كانوا في ذلك يتجهون به إلى كل شخص، بل إلى عظماء الرجال، وكأنهم بصنيعهم هذا يفخرون لا بالرجال ولكن بصفاتهم النبيلة وأخلاقهم الفاضلة ، وكفاحهم النضالي في تحرير الشعوب من الإستبداد والإستعمار .

وقد صور شعرهم الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، فأنشدوا الشعر الوطني والأدب القومي الذي ينادي فيه الشاعر بالتحرير ، وإيقاظ الوعي في الأمة ، والإنتفاع بثرواتها . وبخاصة بعد أن وقعت أحداث وطنية كبرى مثل ثورة أحمد عرابي ، وجهاد سعد زغلول ، ومصطفى كامل والحرب العالمية الكبرى .

ونظموا كذلك في الشعر الإجتماعي الذي يصور البؤس والشقاء لأبناء الطبقة الكادحة، والثورة على الظلم الإجتماعي، والقضاء على الفوارق بين الطبقات في نمو وتدرج ، وقد التزم الشاعر في مسرحيته بالقيم الفنية في المسرحيات الغربية، وبخاصة عند أحمد شوقي في مسرحياته: كليوباترة ومجنون ليلى وقمبيز وغيرها، وتبعه بعد ذلك كثير مثل عزيز أباظه وباكثير ، وصلاح عبد الصبور وغيرهم .

ونظموا أيضاً متأثرين بعلوم الفلسفة والأخلاق الحديثة في الشعر الوجداني والقصيد الغنائي وذلك مثل الزهاوي وإسماعيل صبري وبشارة الخوري.

وسنعرض بعض اللامعين في هذه المدرسة وأثرهم في رقي الأدبي للعصر الحديث : ـ

١ ـ محمود سامي البارودي :

محمود سامي البارودي (١٢٥٥ ـ ١٣٢٢ هـ ، ١٨٣٩ ـ ١٩٠٤ م) يعد رائد الوثبة الأدبية وباعث النهضة الشعرية في أدبنا العربي، وكان لحياته أثر عميق في تكوين شاعريته، فقد اشترك في المعارك الحربية، وتعلم الفنون العسكرية. وارتقى إلى منصب الوزارة ورئاسة الوزارة ، وقاد الحركات التحررية في عصره. واقترن اسمه دائماً بالثورة العرابية، حيث نفي بسببها وغير ذلك ، مما كان له الأثر الكبير في استقلال شخصيته في الأدب وقوة عزيمته في النهوض به. بعد أن تردى في ظلام الحكم التركي .

ولكي يثب بالشعر وثبته القوية ويرتفع به في سماء المجد كان عليه أن يعارض عظماء الشعر في عصوره الذهبية، ويحلق في سماء القريض بين الجاهلية والإسلام . ليهذب ذوقـــه ويقوي ملكته وينمي شاعريته ، وتسمو مداركه ، ويتعمق فكره ، ويتسع خياله ، فوقع في شعره صفاء البحتري وموسيقاه الشعرية. وجزالة أبي تمام وإحكام نسجه، وصف المتنبي واعتزازه بنفسه . مع أنه لم يدرس قواعد العروض والقافية ، ولم يتخرج من مدرسة النحو والصرف واللغة ، ولكنها اكتملت في نفسه بسليقة صادقة وطبع قوي من كثرة حفظه لشعر الفحول من العرب، وغشيان مجالس الأدب فجاء شعره قوياً، جزل الألفاظ، صافي العبارة ، مشرق الديباجة .

يتحدث عنه أستاذه المرصفي في الوسيلة الأدبية : أولع البارودي وهو

غض الحداثة بحفظ الشعر ، وأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء المتقدمين ، حتى شب فصيح اللسان ، مطبوعاً على الاعراب دون أن يتعلم النحو ، فانطلق يقول الشعر في أغراضه المختلفة ، ونهض به نهضة عظيمة وأعاد إليه حلته العربية ، وبهجته البدوية ، حتى شاكل الشريف الرضي في جزالة اللفظ ، ومتانة النسج وقوة الكلام ، ولم يتخلف عن متقدمي الشعراء في شيء، على أنه أربى عليهم بما جال في فنون المعاني ، التي تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات أخرجها العلم الحديث .

وقد شهد له الشعراء المجددون بعده بقدم السبق وبالريادة في الشعر والبعض في القريض فجاء شعره في جميع الأغراض من فخر ومدح وشكوى وهجاء ورثاء ووصف للمعارك وحنين إلى الوطن .

وقد وصف مطران جهود البارودي في البعث الشعري بقوله : إن شعر البارودي هو بجملته صناعة لا يقاس بقديم أو حديث ، مع ابتكار قليل وإحساس فياض ، إختار له أحسن أساليب العرب وأفصح ألفاظهم وتغنى بها على وحي من نفسه ، ونفسه جارية النغمة ، وعاشقة الإيقاع فافتن حتى أنس الفن ، وجوّد حتى أذهل في المعنى ، فمثل قارئه مثل سامع المنشد البارع ، لا يبتئس حتى يلتبس عليه فهم الألفاظ ، إذا استمر النغم على نظامه واتقانه ، بل يستمر في طلبه ويترقى فيه ، إلى أن يخلق لنفسه شجوناً ، حتى تفوته شجون الأقوال المنشدة ، وذلك كان مذهبه في الشعر ، وتلك غايته منه ، ولا ننسى له فضلاً جديراً بالذكر الخاص ، وهو أول شعراء البعثة الحديثة ، بمعنى أنه أول من رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين ، وما أبرز قريضة لقريض جيله ، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً إلى عهد أرقى أزمنة العرب ، فهي كالجبال الشامخة وحولها القصائد الأخرى كالأركان المقامة من حجارة وأطلال بلا اختيار ولا نسق ولا هندام .

نماذج من شعره :

يقول البارودي حين عارض البوصيري في بردته : ـ

يا رائد البرق يمم دارة العلـــم ... واحد الغمام إلى حي بذي سلم
وإن مررت على الروحاء فأمرر لها ... أخلاف سارية هتانة الديـــم
من الغزار اللواتي في حواليها ... نرى النواهل من زرع ومن نعم
ان استهلت بأرض نمنمت يدها ... برداً من النور يكسو عاري الأكم
ترى النبات بها خضراً سنابله ... يختال في حلة موشية القلم
أدعو إلى الدار بالسقيا ومن ظمـأ ... أحق بالري لكني أخو كرم

ويقول في الفخر : ـ

واني امروء لولا العوائق أذعنت ... لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم ... لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه ... تفزعت الأفلاك والتفت الدهر
لهـــم أعمـدة مرفوعة ومعاقل ... وألوية حمر وأفنية خضـــر
ونار لها في كل شرق ومغـــرب ... لمدرع الظلمـــاء ألسنة حمر

وحين يتجه إلى الشعب ليحفز هممهم نحو بناء الوطن والحفاظ عليه يقول : ـ

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصـــة ... وفي الدهر طرق جمة ومنافع
أصبرا على مس الهوان وأنتم ... عديد الحصى اني إلى الله راجع
وكيف ترون الذل دار إقامـة ... وذلك فضل الله في الأرض واسع
أرى أرؤساً قد أينعت لحصادهـــا ... فأين ولا أين السيوف القواطع
فكونوا حصاداً هامدين أو افزعوا ... إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع
فلم أدر أن الله صور قبلكم ... تماثيل لم تخلق لمن مسامـــع

فلا تدعوا هذه القلوب فإنها قوارير مخي عليها الأضـــالع

٢ ــ أحمد شوقي :

هو أمير الشعراء وزعيم المجددين في الشعر العربي الحديث (١٢٨٥ ــ ١٣٥١ هـ ، ١٨٦٨ ــ ١٩٣٢ م) ولد بالقاهرة وعاش فيها ، ويرجع في نسبه إلى أصول عديدة ، تحدث بها عن نفسه فقال : أنا إذن عربي ، تركي يوناني ، جركسي . وقد كفلته جدته لأمـــه ، ونشأ معها في ترف ونعيم في قصر الخديوي ، حيث كانت من وصائف القصر . وتعلم في المدارس وتخرج من الحقوق ، ثم ابتعثه توفيق إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب ، وعاد بعد حصوله على الشهادة ، وعمل في القلم الإفرنجي في قصر الخديوي ، ولأحداث وطنية نفى شوقي إلى الأندلس ، ثم عاد إلى مصر حيث كرمته في مؤتمر عام ١٩١٧ م وقلده العلماء والأدباء إمارة الشعر .

عوامل شاعريته :

توافرت عند شوقي عوامل كثيرة كانت ذات أثر كبير في نبوغه الشعري ــ وعبقريته الفذة ، وابتكاره في فنون الأدب وأغراضه وأهمها هي : ــ

١ ــ جنسه : إذ تعددت أجناسه ، وتنوعت أصوله ، فقد نزعه عرق عربي وثان جركسي وثالث تركي ، ورابع يوناني ، ومن اجتمعت فيه هذه الأجناس إجتمع له في شعره من خصائصها ما يتميز به عن غيره ممن لم يتعدد أجناسه مثل حافظ مثلاً :

٢ ــ قوة عارضته ، وشدة ذكائه ، واتقاد ذهنه ، فقد كان ينظم شعره وهو في الطريق ، أو زحام الناس ، وفي قلب الصخب والضجيج وهو راكب الترام .

٣ — استقام الشعر قبل شوقي وتتلمذ على رواده ، وبخاصة البارودي وإسماعيل صبري وجاء أن شوقياً وحافظا كانا يعرضان شعرهما على إسماعيل صبري لدقة ذوقه ورقة طبعه .

٤ — عاش مترنماً ناعم البال لم يفكر يوماً ما في شؤون معيشته ، ولم يشغله العيش عن التقريض أو الإنصراف عنه. ولذلك جوده ، وأحسن صنعته .

٥ — عاش مع المأساة التي ألمّت بالوطن حين سيطر الإستعمار على العالم العربي ، فهب يدافع عنه في شعره .

٦ — الأحداث الكبرى التي أحاطت به في حياته صهرته مثل حادثة دنشواي ونفي سعد زغلول ، ومصطفى كامل وثورة أحمد عرابي والأحزاب المتضاربة الكثيرة ، وغير ذلك مما فجر نفسه الثورة على الظلم وأهله .

٧ — الفترة الزمنية التي عاشها كانت ثرية بالرقي الفكري والعلمي والثقافي فقد كثرت التراجم عن الغرب ، وبخاصة فيما يتصل بالمذاهب الأدبية الحديثة .

٨ — كان لنفيه إلى بلاد الأندلس وإبعاده عن وطنه أثر كبير في قوة شاعريته وفي تجديده في معاني الشعر وأخيلته وصوره وأغراضه وفنونه ومنهجه ثم حرارة الشعر وقوة عاطفته ، وصراحته في الرأي وجرأته في الهجوم وبخاصة فيما يتصل بشعره الوطني يقول الشاعر في حبه لوطنه : —

أحرام على بلابلـه الـدو ح حلال للطير من كل جنس
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

٩ — قراءاته الكثيرة لدواوين الشعراء مثل أبي نواس والبحتري وأبي تمام والمتنبي .

١٠ ــ تعلمه في فرنسا وإجادته اللغة الفرنسية، إذ كانت هي لغة الأدب والنقد والمذاهب الأدبية في النهضة الأوربية الحديثة .

خصائص شعره :

١ ــ معانيه وأسلوبه :

يعد شوقي من أظهر أعلام مدرسة البارودي، ويعد رائدهم وبخاصة في ابتكاره للأغراض الشعرية من الشعر المسرحي . ولكنه دون البارودي في اختيار اللفظ وإحكام الصياغة وجودة السبك. وبخاصة قبل نفيه إلى الأندلس، لأن البارودي في رصفه وتراكيبه كان يصدر عن مجاراة لأقدر الشعراء وأعظمهم في العصر العباسي، فجاء لفظه جزلاً قوياً وأسلوبه محكماً وكان شوقي يصدر في شعره عن طبع لا عن معارضة لغيره ، وعن سجية لا عن قصد في إحياء التراث الشعري .

ولذلك ظهرت في أول حياته عنايته بالمعنى دون اللفظ، فأعطاه من نفسه ما لا يعطيه للتراكيب ، وأحس بـــأن البارودي قفز في شعره إلى القمة في الأسلوب التي يأملها الشعراء في الشعر العربي فأغناهم عن الإهتمام باللفظ وبحث شوقي عن جديد آخر فوجده في المعنى . واهتم به أكثر من اهتمامه باللفظ، ولكنه استطاع أن يذلل الأسلوب للمعنى ويهيىء الموسيقى للفكرة، ولما أحس شوقي بأنه أوفى على المعنى وحقق فيه ما لم يصل إليه البارودي وحافظ واسماعيل صبري . انصرف أخيراً إلى تجويد اللفظ . كما ابتكر المعنى والعناية بالأسلوب ، كما جدد في الفكرة فعكف على دواوين الشعراء يغترف من نبعهم وينطق بلسانهم كما صنع البارودي وبخاصة وهو في المنفى فقرأ الكثير من عيون الشعر العربي ، حتى استقام له اللفظ ، وذل له الأسلوب فكانت عبارته جزلة وصياغته فخمة ، وأسلوبه محكماً ، وتراكيبه قوية رصينة، وقد أشار إلى هذا حافظ إبراهيم يقول : كان شوقي قليل البضاعة

في الشعر العربي . واسع الإطلاع على الشعر الإفرنجي ، فلما كان في منفاه بالأندلس عكف على قراءة دواوين فحول الشعراء ، وكشف كنوزها وعلق عيونها . فأصبح جامعاً للميزتين حائزاً للفضيلتين .

ولقد تجنى حافظ إبراهيم على شوقي حينما اتهمه بالضعف في أسلوبه وبالتفكك في تراكيبه ، حتى صار المعنى غامضاً عنده يحتاج في كشفه إلى التنجيم ، واتهمه أيضاً بالإغارة على الشعراء السابقين ، وأخذ منهم معانيه وأساليبه يقول حافظ في ليالي سطيح :

بربك ماذا رأيت فيها من الآيات ، وما جاء به صاحبها من المعجزات ، اللهم إلا ما يتباصر به علينا من تلك المعاني الغريبة التي ما سكنت في معنى عربي إلا وذهبت بروائه . ويقول : إنه لا يزال مهزول اللفظ ، غامض المعنى . يحتاج الناظر في كلامه إلى تخوت الرمل ، وطوالع التنجيم ، وقد قصر همه على اصطحاب طائفة من الألفاظ لا يعدوها إلى غيرها ، حتى أصبح بعضها علامة تدل على شعره . وأن طريقته في شعره أن يغير على صحائف الأولين ومعاني الشعراء السابقين ، فهو لم يغادر معنى في خدره إلا سباه ولا لفظاً في وكره إلا أزعجه .

ومما يؤيد رأينا أن بعض النقاد اعتبر هذا الهجوم يعود إلى أمر شخصي لا لذات النقد . حيث لم يهنئه شوقي برتبه « البكوية » مع أنه كان رئيس حفل التكريم لهذه الرتبة فأصرها في نفسه . وهجم عليه هذا الهجوم السافر وقد وضحت الرأي فيه مسبقاً .

وتعرض شوقي للهجوم أيضاً من أصحاب مدرسة الديوان شكري والمازني والعقاد واتهموا شعره بأنـــه فارغ الألفاظ . لا عمـــق في المعنى ولا ترتيب فيها . ولا وحدة عضوية بين أجزائها . فالبيت عنده مستقل عن سابقه ولاحقه . بحيث لو قدم أو أخر أو حذف لما أحدث ذلك في

القصيدة شيئاً. وكذلك فشوقي عندهم شاعر يقلد القدامى في المدح والرثاء — وغير ذلك ، مما يتصل بشعر المناسبات والحفلات في قصر الخديوي .

وقد تجنى أصحاب مدرسة الديوان على شوقي وشعره. وكان نقدهم نقداً ذاتياً في معظمه إذ كانوا يتردون في الفقر والبؤس ، ويعانون مرارة الحرمان بينما شوقي يسبح في النعيم ويغوص في شرف القصر ، فكان هذا السبب في نقدهم. ولذلك اعترف بعضهم في أخريات حياته وبعد أن دانت لهم الدنيا وشغلوا الناس بفكرهم فقال : إنه كان من حماقة الشباب .

كما اعترف حافظ بفضل شوقي وشاعريته، حين نال بعض الأدباء من شاعرية شوقي أمام حافظ ، الذي احتد عليه قائلاً : كلا ... لا تكونوا خبثاء أو جهلاء ، والله إن شوقي لشاعر ، وإنه لأشعر مني . وما كفرت بهذه الحقيقة في شبابي وكهولتي ، ولا أريد أن أكفر بها في شيخوختي وأود أن يعرفها الناس بعد مماتي .

وحافظ أيضاً هو الذي يقول في إمارة شوقي للشعر العربي :

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

ولأجل اهتمام شوقي بالمعنى كان يطيل قصائده ، من غير إسفاف أو ضعف ، فقد أوفت قصيدته «كبار الحوادث في وادي النيل» على ثلاثمائة بيت وقد كثرت المطولات في ديوانه الشوقيات . وفي ملحمته الإسلامية التي نظمها في الأندلس يسجل فيها البطولات الإسلامية والعربية والثقافة العربية ولغتها وأدبها ، ووحدة الشعوب الإسلامية ، وقوميتها العربية والنداء بالإشتراكية السمحة ، وغير ذلك مما هو موجود في ملحمته « دول العرب وعظماء الإسلام » يقول شوقي في اللغة العربية وأدبها وبلاغتها :

لسانك الأول في الكتاب ولغة الصبوة والعتاب

فخض عباب فقه وسره ... وغص على صحيحه وحره
لا ترض منه مبلغ الرعاع ... وحصة الأعمى من الشعاع
واقرأ علوم السلف الأعلام ... فإنها معالم الكلام
قديم كشعاع الشمس ... أين غد واليوم وأين أمس
وخل ما زيفت الليالي ... وما نفت مصارف الأجيال
ولا تضع من الجديد كله ... يفتك وضع الشيء في محله
رب جديد عنده المعول ... ورب كنز لم يثره الأول
إن طريق العقل لا يسد ... ومذهب الأفكار لا يحد

وله من النثر الأدبي مما لم يشتهر به مثل «أسواق الذهب» ، «لادياس» و « ورقة الآس » وغيرها .

٢ – أغراضه الشعرية :

نظم أمير الشعراء في كل الأغراض الشعرية القديمة من مدح وفخر ورثاء ، ووصف وغزل وشكوى وعتاب ، وغير ذلك من الشعر السياسي والاجتماعي والتاريخي ورثاء الحضارات ووصف الآثار ، ما عدا الهجاء لأنه كان عف اللسان . لا يجرؤ على الهجاء والاقذاع . وكان أيضاً في نسيبه لا يعبر فيه عن عاطفة صادقة ، بل يغلب عليه الوصف . ويجاري فيه الشعراء مثل معارضته للحصري في قوله :

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده

أما الأغراض الجديدة في شعره فهي : –

الشعر التاريخي : الذي كان يتميز بعمق العاطفة الدينية ، وحرارة العاطفة الوطنية ، ولم يعتمد فيه على سرد الأحداث كالتاريخ ولكنه كان يختار من التاريخ . ما فيه عظمة لقومه ، وتذكير بأمجادهم الماضية ،

وتفوقهم الحضاري مثل القصـــائد في ملحمته الإسلامية نهـــج الـــبردة والهمزية وغيرها يقول :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهـــم إلا على صنم قد هام في صـــنم
والأرض مملؤة جـــواراً مسخرة بكل ظافية في الخلق محتكـــم

الشعر السياسي : عاش شوقي مع الأحداث الوطنيـــة فصورها في قريضه بحرارة صادقة ونظم بديع ، فهو ينادي بوحدة المسلمين في ظل الخلافة العثمانية يقول مخاطباً الخليفة : —

أيا القمرين عرشك في قلوب نجاوز في الولاء المستطاعا
ترى فيه الصيان لحق مضـــر فلولا العرش يعصمه لضاعا

ويصور حادثة دنشواي فيقول في مطلع القصيدة :

يا دنشواي على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام

الشعر الإجتماعي : ومعيشته المترفة دفعتـــه إلى أن يحس بالظلم الاجتماعي في الطبقات الكادحة استمع وهو يحث على التبرع :

جبريل هلل في السماء وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر
سل للفقير على تكرمه الغني واطلب مزيداً في الرخاء لموسر

وناادى بالتعليم ونشره وتقدير العلم والعلماء يقول :

قم للمعلم وفـــه التبجيـــلا كاد المعلم أن يكون رسولا

ثم قصائده في إنشاء الجامعة والصحافة ، وبناك مصر ، وقضية المرأة والسفور والحجاب ، والعمال ودورهم في النهضة ، والأخلاق وأثرها في تقدم الأمم .

الشعر المسرحي : ويعد رائد هذا الفن فهو الذي هذبه وصقله وعمقه حتى صار ينسب إليه ، وتتلمذ عليه من نظم بعده فيها مثل عزيز أباظة وعلي أحمد باكثير ، وصلاح عبد الصبور ومن مسرحياته الشعرية : كليوباترا ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعنترة ، وعلي بك الكبير وغيرها .

وتتلخص سماته الشعرية فيما يلي : —

١ — تنوع الأغراض الشعرية ما بين فنون قد تطورت على يديه مثل المدح والرثاء ، والوصف ، والفخر ، وما بين أغراض مبتكرة مثل الشعر السياسي والتاريخي والاجتماعي والمسرحي والتعليمي .

٢ — العمق في الفكرة والاستقصاء والتحليل .

٣ — الثقافة الواسعة وأصالتهالعربية في شعره.وغلبة الإتجاه الشرقي في نظمه.

٤ — كان الشعر عنده يصدر عن طبع أصيل من غير تكلف أو تعمل .

٥ — رقة المشاعر ودقة الإحساس وتعمق الخيال وروعة التصوير . وابتكار الصور الجديدة .

٦ — شاعرية الحكم الخالدة ، وروعة الأمثال النادرة التي لا يمكن تمييزها عن شعره وتصويره الخلاق .

٧ — العاطفة القويةالصادقة وبخاصة في شعره الوطني بعد المنفى وكذلك الديني .

٨ — الموسيقى المتدفقة القوية والإيقاع العذب والنغم الشجي الذي يستولي على المشاعر ، ويأخذ بالنفوس .

المدرسة الابتداعية « الرومانسية »

والنقاد الذين ثاروا على شوقي وحافظ وغيرهم من شعراء المدرسة الكلاسيكية أخذوا ينادون بقيم جديدة في الشعر الحديث متأثرين بمذاهب الأدب في أوربا، وحينئذ ظهر الاتجاه الابتداعي في الشعر « الرومانسي » ولعل أول من وجه الأنظار إلى هذا الإتجاه هو خليل مطران (١٨٧٢ — ١٩٤٩ م) فقد دعا إلى ظهور شخصية الشاعر مـــن خلال شعره ، التي تخلق الفن وتبتكر الصور، وبها يستقل الشعر عن التقليد والزيف ، والبعد عن المحسنات المتكلفة والزخرف في القول ، ثم نادى بالوحدة العضوية في القصيدة، واتهم الشعر الكلاسيكي بأنه خالٍ من الوحدة، مجرد من العاطفة الصادقة مع الإبتكار في الموضوعات ، وتحليق الخيال ، والتغني بذات الشاعر ومشاعره . يقول في هذا الإتجاه :

هذا شعر عصري ، وفخره أنه عصري . وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر . هذا شعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ، ولو أنكر جاره . وشاتم أخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه ، وإلى حمله القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها ، وفي تناسق معانيها وتوافقها .

ويقول : أريد التجديد أكثر مما أردته في كل آن . أريد ولا أكيفه أريد أن تكون لغتي شريكتي رؤية وسماعاً وشعوراً تلقاء ما يجد . وأن تتناوله وأن تعينني على الإفصاح عنه .

ثم تتابعت الدعوات لتجديد الشعر الحديث في ظل المدرسة الرومانسية حيث ظهرت ثلاث مدارس في ظلها تعزز هذا الاتجاه الابتداعي الجديد وهي : —

أ — مدرسة الديوان :

وأصحاب مدرسة الديوان هم عبد الرحمن شكري . وإبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد . قد بنوا دعوتهم على أنقاض الاتجاه الكلاسيكي عند شوقي وحافظ . فاتجه شكري في شعره إلى التأمل الوجداني والإستبطان الذاتي . وغلب على المازني الروح الرومانسية المتشائمة المتبرمة بالناس والحياة . ونظم شوقي في الشعر الفلسفي والوجداني . وقد عبروا عن اتجاههم في الديوان الذي جاء فيه :

ينبغي أن تكون القصيدة عملاً فنياً تاماً . يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة . كما يكمل التمثال بأعضائه . والصورة بأجزائها . واللحن الموسيقي بأوزانه . بحيث لو اختلف الوضع . أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها وتحدد خصائص مدرستهم في إيجاز على النحو التالي : —

١ — أن يكون الشعر إنسانياً يتسع للمعاني الإنسانية وأسرار الطبيعة وخفاياها ولا ينبغي اقتصاره على الناحية النفسية التي ينفعل بها وجدان الشاعر وعاطفته وباتجاههم الجديد يصير للشعر قيمة إنسانية عامة .

٢ — التعمق في تناول المعنى والإستقصاء في عرض الفكرة حتى يصل الشاعر إلى أعماق الحقيقة وجواهر الأشياء .

٣ — البعد عن الصنعة وتجنب الزيف ، ليكون الشعر مفعماً بالمشاعر القوية ، والأحاسيس الذاتيـــة ، وبالمشاعر والأحاسيس يعمق الشاعر المعنى البسيط والفكرة التافهة .

٤ — الدعوة إلى الشعر المرسل ، وتعدد القافية في القصيدة الواحدة على غير النظام العمودي في القصيدة التي تتوحد فيها القافية .

٥ — الوحدة العضوية فالقصيدة عندهم بنية حية ، ذات أجزاء متلاحمة قوية ، يحكمها نظام موحد ونسق مترابط ، بحيث لو تقدم معنى أو تأخر أو حذف لاختلت القصيدة من أساسها ، أصابها التشويه والاختلاف فهي مثل الشخص في كماله وتمام أعضائه ، واتساقه .

٦ — الصدق الفني في التجربة الشعورية ، فلا بد أن تكون القصيدة دقيقة في نقل ما في نفس الشاعر من معاني تتصل بالفكرة ، التي انفعل بها الشاعر وتأثر بها مما دفعه إلى نظمها .

وكان العقاد أقوى الثلاثة عزيمة في الدفاع عن المدرسة ، والتصدي لمن يقف دونهم ويدافع عن مذهبهم الشعري ، وشكري يحب العزلـــة ويتجنب الأضواء ، وانصرف المازني إلى الصحافة ، ولذلك بقي العقاد وحده يدافع عن مذهبهم جميعاً . ولذلك ستكون لنا وقفة متأنية معه .

عباس محمود العقاد :

ولد العقاد بمدينة أسوان في ٢٨ من يونيو سنة ١٨٨٩ م وتوفي في ١٢ من مارس سنة ١٩٦٤ م ، وهو أحد المفكرين العرب في تاريخنا الفكري القديم والحديث معاً ، وإمام في الفكر والنقد والأدب ، وكاتب عنيد عصامي ، وشاعر قوي العاطفة عميق الفكرة ، أسهم في شتى المجالات الفكرية والوطنية وكان له أثر كبير في الجيل المعاصر .

وأحب العقاد كبار الشعراء من العرب وبعض رواد الفكر والأدب في أوربا وذلك مثل ابن الرومي والمتنبي ، وأبي العلاء المعري وأبو فراس الحمداني والشريف الرضي وابن زيدون وغيرهم. كما تعلق بفلسفة هيجل، وكانت، ونتشه، وشبنهور، ومن الشعراء — هازليت وشيلي وبيرون وغيرهم.

جند نفسه للدفاع عن مدرسة الديوان وعن مبادئها في الشعر والأدب فقد كتب مقدمة عن الشعر ومزاياه في ديوان شكري الجزء الثاني الذي ظهر في عام ١٩١٣ م حيث يرى أن الشعر هو التعبير عن النفس وترجماتها الصادق ، والصورة الأمينة التي تنقل ما في النفس من خواطر ومشاعر للكشف عن لب الحقيقة وصميم الجوهر ، يقول العقاد : أسس الشعر لغواً تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساعة كلالها وفتورها ، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة النفس ، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها .

وفي عام ١٩٢١ م ظهر الجزء الأول والثاني من كتاب الديوان وأقر هو وصاحبه المازني قواعد الشعر الجديد وأسسه التي بها ينهض ويساير الرقي في المذاهب الأدبيه. وفيه أيضاً شن العقاد هجوماً عنيفاً على شعر شوقي ونقده نقداً لاذعاً، وبذلك خلق حركة أدبية ونقدية كان لها أثر في توجيه الشعراء المحدثين إلى الإتجاه الجديد في شعرهم، وتوجيه النقاد إلى المذاهب الجديدة في النقد الأدبي الحديث .

وقد استطاع العقاد أن يطبق الأسس التي نادى بها في إصلاح الشعر ورقي الأدب غالباً ، فنظم شعره عليها وظهر الجزء الأول من ديوانه وأسماه « يقظة الصباح » عام ١٩١٦م فتجلت في قصائده الوحدة العضوية والعمق في الفكر ، وخصب الخيال، وإرهاف حسه ودقة مشاعره، ونفاذ بصيرته. وسعة اطلاعه وفلسفته وتحليله وتعليله. وامتداد أفقه وشمول أدبه

في أدب إنساني . مع اعتزاز بعروبته ولغته وكشف لأسرار الجمال فيها . مولعاً بالإبتكار والتجديد في شعره مع شدة التأمل . وتنوع الخاطرة والحب الصادق والعاطفة المتدفقة القوية وهيام بالطبيعة وجمالها . وكشف لأسرارها وبيان حقيقة الإنسان وسر وجوده . وعجزه عن فهم الكون . ولغز الوجود الذي يحيره ، فينشد ولعاً به أكثر وأكثر . لكي يقف على الحقيقة ولغز الوجود يقول : —

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا ... عذب المدام ولا الأنـــداء ترويني
حيران حيران لا نجم السماء ولا ... معالم الأرض في الغماء تهديني
يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا ... نيني ولا سمر السمار يلهيـــني
غصان غصان لا الأوجاع تبليني ... ولا الكوارث والأشجان تبكيني
شعري دموعي ومابالشعر من عوض ... عن الدموع نفاها جفن محزون
يا سوء ما أبقت الدنيا لمغتبط ... على المـــدامع أجفان المساكين
أسوان أسوان لا صفو الحياة ولا ... عجائب القدر المكنون تعنيني
أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني ... على الزمان ولا خل فيـــأسوني
يديك فامح ضنى يادهر في كبدي ... فاست تمحوه إلا حين تمحوني

ويكره العقاد الخروج على الوزن الشعري والتحرر منه . ولا يعد الشعر الحر شعراً . لأن الوزن من لوازم الشعر الذي لا يفارقه ولا يصح بدونه . والتفعيلة الواحدة كالحجر الواحد في بناء البيت الذي لا يتم إلا بوضع الحجر بجوار الحجر حـــتى يكمل ويتم . وكذلك الوزن لا تتم موسيقاه إلا بتكرار التفعيلة في البيت الواحد . وتكرار البيت في القصيدة حتى تكون صادقة في نقل التجربة التي انفعل بها الشاعر . ولا يتم ذلك بحال بتفعيلة واحدة تختلف من فقرة لأخرى من غير تناسب في الإيقاع ولا انسجام في الوزن . وهو ما أسماه المتحررون بالشعر الحر أو الوزن الحر .

وأما مؤلفاته فقد ملأت الدنيا في الشرق والغرب من عبقريات مختلفة ودراسات نقدية وفكرية وفلسفية وغيرها .

ب – مدرسة أبولو :

في القاهرة من سبتمبر عام ١٩٣٢م اتفقت طائفة من الشعراء والأدباء والنقاد على ميلاد مدرسة جديدة في الشعر بريادة الدكتور أحمد زكي أبو شادي وهي مدرسة أبولو . ومن هؤلاء أحمد محرم وإبراهيم ناجي ، وعلي محمود طه وكامل كيلاني وأحمد ضيف ، وعلي العناني وأحمد الشايب ومحمود أبو الوفا ، وحسن كامل الصيرفي وغيرهم .

واختير أمير الشعراء أحمد شوقي رئيساً لها . ثم توفي بعد أشهر فاختير الشاعر خليل مطران رئيساً لها . ثم أصدرت الجماعة مجلة تحمل اسمها وتذيع أدبها . وتدافع عن مبادئها . وكانت أول مجلة خاصة بالشعر ونقده ، ويكشف أبو شادي عن أهدافها فيقول في صدر العدد الأول : نظراً للمنزلة الخاصة التي يحتلها الشعر بين فنون الأدب ، ولما أصابه وأصاب رجاله من سوء الحال . بينما الشعر من أجل مظاهر الفن ، وفي تدهوره إساءة للروح القومية ، لم نتردد في أن نخصه بهذه المجلة ... وفي الختام يقول : وكلما كانت الميثولوجيا الأغريقية تتغنى بأبولو للشمس والشعر والموسيقى ، فنحن نتغنى في حمى هذه الذكريات التي أصبحت عالمية بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه .

ونشرت المجلة لكثير من الشعراء والنقاد . الذين أصبحوا أعضاء فيها بعد ذلك . مثل مصطفى السحرتي ، وصالح جودت وعبد العزيز عتيق ومختار الوكيل وزكي مبارك والسيد حسن القاياتي ، ومحمد الأسمر ، ومحمود غنيم وعبد الحميد الديب ومحمود عماد ، ومحمد مصطفى الماحي ، وعثمان حلمي ، ومحمد المنيهاوي وفخري أبو السعود ، وخليل شيبوب وسيد قطب

والعوض الوكيل وعامر بحيري ، وبشر فارس وطاهر الطناحي ، ومحمد عبد المعطي الهمشري .

ومن الدواوين لأعضائها : ديوان الشعله . والينبوع . وفوق العباب لأبي شادي ، ومثل وراء الغمام لناجي . والألحان الضائعة للصيرفي وغيرها.

صلة أبولو بالرومانسية :

اتخذت أبولو الاتجاه الرومانسي في الشعر ، لأنهم ثاروا على التزام — الكلاسيكية في القصيدة بالصياغة الجيدة ، والتعبير الفصيح ، ومحافظتها على القواعد في الآداب القديمة وجعلها المثال المحتذى وإهمال العاطفة أمام القيود السابقة ، لذلك ثار الإتجاه الرومانسي على ذلك . ونادى بتحطيم القيود الكلاسيكية وراعى العاطفة والحرية والبساطة والوحي والخيال الشرود . والخروج على القواعد اللغوية والفنية المتوارثة ، والهيام بالطبيعة والريف ، والذاتية في الشعر ، والتحرر من أثقال المادة ، والفطرة والإلهام في الشعر . وإشاعة الألم والقلق ، والحزن والسأم .

خصائص الشعر عندهم :

وتظهر مبادىء مدرسة أبولو التي تعمل على نهضة الشعر العربي ورقيه ومواصلة تقدمه ومتابعته لمذاهب التجديد في العالم وهذه الأهداف كما أعلنتها هي : —

١ — السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً .

٢ — مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .

٣ — ترقية مستوى الشعراء مادياً وأدبياً واجتماعياً والدفاع عن كرامتهم .

أما القيم الفنية عندهم في القصيدة وخصائصها فهي : —

١ – **التجربة الشعرية** : وهي انفعال النفس بعامل أو عوامل خارجية واستجابة العاطفة لها ، والتغلغل بين جوانب النفس ، حتى تنبع التجربة من أعماق الشاعر ، ومدار روعتها في القصيدة كما يقول السحرتي : «في تواؤم تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة» وليست عندهم استجابة عارضة أو طارئة لفكرة ما .

٢ – **الوحدة العضوية** : ولا تعني عندهم في القصيدة وحدة الموضوع ، وهو ما دل عليه العقاد في مدرسته . بل لا بد من وحدة عضوية ، فالقصيدة في نظرهم بنية عضوية حية تتفاعل عناصرها . تمتزج بعضها بالبعض . وتنمو العناصر نمواً داخلياً حتى يتكامل الموضوع ، ويتم على أكمل وجه ، وفي أجمل نسق ، وذلك مثل الأعضاء في جسد الإنسان القوي النامي الحسن المنظر . وتظهر في قصيدة الأطلال لناجي الذي يقول فيها : –

أعطني حريتي أطلق يـــديَّ ... إنني أعطيت ما استبقيت شي
آه من قيدك أدمى معصمي ... لم أبقيه وما أبقـــى عـــلي
ما احتفاظي بعهود لم تصنها ... وإلام الأمر والدنيا لـــدي
ها أنا جفت دموعي فاعد عنها ... إنها قبلك لم تبذل لحـــي

٣ – **الصورة الأدبية** : ولا تعني هذه المدرسة في التعبير باللفظ والتركيب بل تعتمد على التعبير بالصورة الأدبية . فهي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تنقل ما في أنفسهم من تجربة عميقة إلى الآخرين في القصيدة ، يقول ناجي عن الصورة : وأما الصورة الشعرية فنعني بذلك أنك حين تقرأ للشاعر قطعة من شعره يكون الشيء وكأنه مرسوم أمامك بوضوح شديد – ومجسم بارز تجاه بصرك . ويقول أيضاً : الأسلوب التصويري في مذهب الصوريين هو من مظاهر التطور في

الأدب الأوربي الحديث . ويبني الصوريون مذهبهم على أن الأدب يجب أن يكون صوراً متلاحقة مضغوطة ، وقد بالغوا في ضغط صورهم ، وتفننوا حتى حملوا التكلمه صوراً مجتمعة ، لا صورة واحدة وقادهم ذلك إلى الرمزية .

٤ ـ **الإيحاء في اللفظ :** لا بد أن يكون اللفظ في الصورة عندهم موحياً تتعدد معانيه ، والكلمة مشعة ترسل خيوطها العميقة في كل مكان ، فإن كثرة المعاني والاتجاهات للكلمة الواحدة . تكتب للقصيدة الخلود ، وتبقى حية ، متجددة تجد موقعاً حسناً من كل قارىء ، فيفسرها حسب ذوقه وعمق فكره . ولذلك بقيت قصائد شكسبير وغيره خالدة ممن اهتم بوحي الألفاظ ومثل قصائد : رسائل محترقة لناجي ، والبحر والقمر لعلي محمود طه ، أو قصيدة (مناجاة) للشابي : يقول فيها : ـ

أنت يـا شعر فلذة من فؤادي تتغنى وقطعة من وجـودي
فيك ما في جوانحي من حنين أبـدى إلى صميـم الوجـود
فيك ما في طفولتي من سلام وقنوع وغبطة ومعـود
فيك ما في شبيبتي من أمان باسمات ومن غرام سعيـد
فيك ما في شبيبتي من قنوط مدلهم وحيرة وجمـود
أنت يا شعر صفحة من حياتي أنت يا شعر قصة من وجودي
أنت يـا شعر إن فرحت أغار يدي وإن رانت الكآبة عودي

٥ ـ **الهيام بالطبيعة :** إنهم أحبوا الطبيعة ، فقد وجدوا فيها القلب الحنون والأم الرؤوم . كارهين صخب المدينة وضوضاءها . فعشقوها عن حب وعانقوها عن هيام . فأحبوها وأحبتهم ، وألفوها وألفتهم ، وحدثوها وحدثتهم عن أسرار الجمال فيها . وسحر الوجود منها . يقول محمود غنيم :

نبهوني لدى السحر نبهوني
وضعوني على النهر ودعوني
أنا والماء والشجر في سكـــون
أملأ السمع والنظر بالفنون
ثم أفضي إلى القمـــر بشجـــوني

٦ – **البناء الفني في القصيدة :** فقد أيدوا الشعر الحر ، والشعر المرسل ، وتعدد الوزن والقافية في القصيدة الواحدة ، وأبدعوا في الشعر القصصي والأقصوصة الشعرية . والتحرر بصفة عامة في الشكل والمضمون عن مذهبي « الفن للفن » و « الفن للحياة » .

وغيرها من الخصائص التي اتسم بها شعرهم في انطلاقه وتجديده ، وحريته من القيود الكلاسيكية القديمة .

الدكتور أحمد زكي أبو شادي :

نشأ أبو شادي في أسرة أدبية (١٨٩٢ – ١٩٥٥ م) فأبوه أديب ، وأمه شاعرة ، وأستاذه مطران شاعر ، على الرغم من أنـــه كان طبيباً متفوقاً . لكنه أحب الأدب وعشق الشعر . ودفعه الأدب إلى سعة الاطلاع والتعمق في الثقافة والفكر والاهتمام بالآداب الغربية واتجاهاتها ومذاهبها الأدبية والنقدية ، وكان رائداً في شعره . يصدر عن طبع أصيل وفطرة مستقيمة ، لا عن صنعة أو كلفة . وجال بشعره في شتى المجالات الجمالية ، والفكرية والإنسانية يقول : –

أنا ابن هواي ثم أنا ابن فكـــري ولست أعيش في هذا الزمـــان
أعيش بكـــل عصـــر عبقـــري تألق في الشعور وفي البيـــان

وقد كثر انتاجه الشعري فبلغت دواوينه ثلاثة وعشرين ديواناً بالإضافة

إلى قصصه ومسرحياته الشعرية ، ومؤلفاته في الأدب والنقد ومقالاته في الصحف والمجلات .

وغلب على انتاجه الشعر الوجداني والغزل الصوفي ، والهيام بالطبيعة والتحرر من الوزن والقافية ، والشعر التمثيلي وغيرها من الخصائص التي اعتنقتها مدرسته الحديثة في الشعر العربي .

وكان أبو شادي سبباً في نشأة مدرسة أبولو في سبتمبر عام ١٩٣٢ وأنشأ مجلتها لخدمة أهدافها ، ونشر مبادئها واعتناق اتجاهاتها . وقد انضم إليها أبرز الشعراء في عصره وأرسخهم قدماً في الشعر ، يقول عنه الدكتور عبد العزيز عتيق أحد تلاميذه :

لا أعتقد أن شاعراً معاصراً غير أبي شادي قد أثر في الشعر الحديث تأثيره ، أو نهض به نهضته ، أو وجهه توجيهه ، وخدمه بقلمه وبمجلته « أبولو » خدمته . وهو بحق أحد كبار رواد الشعر العربي المعاصر ، وزعيم مدرسة فيه لها خصائصها واتجاهاتها ، وحسبه أنه أظهر نحو مائة شاعر هم الذين تزدان بهم نهضتنا الأدبية المعاصرة .

ومن أشهر دواوينه : أنداء الفجر ، والشفق الباكي ، وفوق العباب وأشعة وظلال ، وأطياف الربيع ، ومن السماء .

وهاجر إلى أمريكا في أخريات أعوامه حيث عمل أستاذاً للأدب العربي في معهد آسيا ، ثم مذيعاً للإذاعة العربية بأمريكا ، حتى توفي في أبريل عام ١٩٥٥ م ، بعد أن أثبت ريادته القوية النابضة في مدرسة شعرية من مدارسنا الحديثة ، التي أسهمت في النهضة الأدبية ، ووجهت الكثير من الشعراء إلى الإبداع الشعري .

ب – مدرسة المهجر :

هاجر بعض الأدباء العرب من الشام إلى الأمريكتين لأسباب كثيرة منها الثراء . والضيق بالحكم التركي ، والهروب من الجيش ، وكبت الحريات ثم التطلع إلى فكر أعمق . وانشأوا هناك رابطتين للأدب العربي :

١ – الرابطة القلمية في نيويورك عام ١٩٢٠م. وأسسها عبد المسيح حداد ومن روادها جبران والريحاني وأيوب وميخائيل نعيمة وأبو ماضي ونسيب عريضة وغيرهم .

٢ – العصبة الأندلسية التي أسسها ميشال معلوف عام ١٩٣٢ م ومن روادها القروي وشفيق المعلوف. وإلياس فرحات. وشكر الله الجر وغيرهم .

وعملت الرابطتان على النهوض بالأدب العربي في مهاجرهم. والتأثر بالأدب الغربي في مذاهبه الحديثة .

العوامل التي أثرت في أدبهم :

١ – اتصالهم بالثقافات الغربية وبالاتجاهات الأدبية الحديثة ، والنزعات الروحية والتأملية .

٢ – تجاوب شخصياتهم مع الشخصيات الغربية .

٣ – حنينهم إلى وطنهم وذكرياتهم فيه .

٤ – اعتزازهم بقوميتهم العربية وبتراثهم الأدبي .

خصائص أدبهم :

١ – النزعة الروحية :

وكانت نتيجة لتأثرهم بالفلسفة الغربية وامتزاجها بالفلسفة الشرقيـــة وكانت أيضاً نتيجة للتمرد على طغيان المادية الجارفة. ونزوع النفس إلى

التأمل في الحياة وأسرارها بعيداً عن مادياتها الجارفة . يقول ميخائيل نعيمة : ـ

هل أنت من الأمواج جئت ... هل أنت من البرق انفصلت
أم من الرعد انحدرت ... هل من الفجر انبثقت
أم من الشمس هبطت ... هل من الألحان أنت

٢ ـ النزعة الإنسانية :

شاع في أدبهم التسامح الذي يقوم على المحبة للمجتمع الإنساني كله من غير تعصب لقوم أو دين . أو مذهب يقول جبران : ـ

« أحبك يا أخي ساجداً في جامعك ، وراكعاً في هيكلك ، ومصلياً في كنيستك ، فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح » . ويقول إيليا أبو ماضي :

إن نفساً لم يشرق الحب فيها ... هي نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي ... وبالحب قد عرفت الله

٣ ـ الحنين إلى الوطن :

ودفعهم البعد عن وطنهم والفراق عن أهليهم إلى حرارة الشوق لأوطانهم يقول ندرة حداد : ـ

أيها الآتي من الأوطان ... والأوطان حلوه
لم أجد عنها وإن طال ... زمان البعد سلوه
وطني أصبح مذ فارقته ... في القلب جذوه

٤ ـ النزعة القومية :

ظل المهجريون مرتبطون بأوطانهم وأحداث قومهم يتألمون لاستعماره ويعملون على إيقاظ الوعي وإثارة الضمير العالمي ضد المستعمرين يقول إلياس فرحات : ـ

أنا وإن تكن الشآم ديارنا فقلوبنا للعرب بالإجمـــال
بنا وما زلنا نشاطر أهلهـــا مر الأسى وحلاوة الآمـــال

٥ ــ النزعة التأملية :

هربوا إلى الطبيعة فارين من صخب المدينة وضجيج المصانع ، فوجدوا فيها سحر الوجود، وجمال الحياة فأحبوها وأحبتهم. وكلموها وكلمتهم يقول إيليا أبو ماضي : ــ

قلبك الليل راهبي وشموعي الشهب والأرض كلها محرابي
وكتـــابي الفضاء أقرأ فيـــه صوراً ما قرأتها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السواقي وغنائي صوت الصبا الغاب

٦ ــ الرمزية :

وقد تأثر بفلسفة الغرب ومذاهبها الأدبية حيث اتخذوا من المحسنات في الحياة رموزاً يعبرون بها عن أغراضهم ومعانيهم، فقد رمز الريحان عن حبه لوطنه بغصن من الورد ، وأبو ماضي عن قيمة الشيء الضعيف في الحياة بالحجر الصغير ، وجبران عن السعادة بالبلاد المحجوبة وغيرها .

القِسْمُ الثَّاني

في تحليل النصوص الأدبيـــة ونقدهـــا

معنى الرّبيع [1]

للشاعر السعودي حسين سرحان

١ ــ عاد الرّبيع إليك عودة واسق ... فاشرب صباح جداول وحدائق
٢ ــ وارحل مع الفجر المنير عن الدّجى ... وادخل نهار أزاهر وزنابــق
٣ ــ تجد الفضاء يدفّ دفّة طائر ... وترى السّماء تخفّ خفّة عاشق
٤ ــ والأرض تحت اثنيهما مسجورة ... طيباً يلذّ لكل أنف ناشــق
٥ ــ العرى أسبغ ثوب كأس رائع ... والعطل رجّع صوت حلى شائــق
٦ ــ أفلا ترى العصفور في جمحاته ... جذلان يومض مثل ومض البارق
٧ ــ لا يستقرّ كأنّه (دوّامة) ... أبداً تدور على أنــامل حاذق
٨ ــ معنى (الرّبيع) أراه أعظم موجز ... من أن يشير إلى دلالة ناطــق
٩ ــ الأرض غير الأرض فيه كأنما ... دحيت بكلّ جمالها المتنــاسق

---

(١) ديوان أجنحة بلا ريش : حسين سرحان ــ بيروت (١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م)، ص ١٠٢ ــ ١٠٣.

١٠ – والجوّ أوجع من ضمير ذائب وجداً ، وأسرع من فؤاد خافق
١١ – سكران يلتمس الوصال لهاجر حبّاً ، ويحثّ الخطى لمساوق
١٢ – ينهل بالمطر الهتون إلى مدى ويرذّ أيّ رذاذ وبل رائق

معاني المفردات اللغوية :

وامق : ومق وامق بمعنى أحب فهو محب ودود .

الدجى : ظلام الليل ، والمراد شدة حرارة الصيف وزوابع الخريف وبرودة الشتاء .

وأدخل : واستقبل .

نهار أزاهر : جمال الزهور وحيوية الورود .

زنابق : أنواع من الزهور أو علامات مميزة لأنواع .

يدف دفة طائر : يحرّك جناحية ، والمراد أن الفضاء ينساب فيه النسيم الدافىء في رفق وحنين .

تخف خفة : والمراد أن السماء صافية لا قتام فيها ولا غيوم .

عاشق : محب وهائم .

مسجورة : مملوءة . تعبق الفضاء طيباً .

يلذ : يمتع .

ناشق : من نشق بمعنى شم الطيب ليستمتع به .

العرى : الشيء المجرد ، أو الفضاء الذي لا يستتر فيه بشيء – والمراد صفاء الجو ونقاؤه .

العطل : المجرد من الحلى ، والخلاء – والمراد الصفاء والنقاء .

رجّع : ردّد .

الحلى : ما يتزين به من مصوغ المعادن – والمراد الجميل الجذاب .

شائق : ممتع ورائع .

جمحاته : سرعته .

جذلان : فرحان مبتهج .

يومض : يلمع .

دوامة : الآلة التي يلعب بها الصبيان فتدور – والمراد سرعة الحركة في جهات متعددة .

الحاذق : الماهر .

موجزاً : بليغاً .

دحيت : بسطت . والأرض دحاها بسطها .

المتناسق : من التنسيق وهو التنظيم والتناظر .

أوجع : آلم من الوجع وهو الألم .

وجداً : حبّاً .

خافق : مضطرب .

يحثث : يسرع الخطى . من حثّ إذا حضّ على السير .

مساوق : معارض له في السير ومناظر .

ينهّل : يتساقط في تتابع .

الهتون : المنصب .

ويرذّ رذاذ : يمطر مطراً ساكناً دائماً صغير القطرات .

الوبل : المراد المطر الخفيف .

رائق : صافي نقي .

شرح الأبيات :

١ — صور الشاعر الربيع في صورة محبوبة طال غيابها ، تعود إلى حبيبها على مضض وشوق . فيرتحق من الربيع الماء العذب الصافي ، ويستروح منه نشر الحدائق المزهرة ، وطيب الورود الفواحة .

٢ — إذا ما عاد الربيع فإنك ترحل عن شدة البرودة في الشتاء والزوابع في الخريف ، والحرارة في الصيف . لتستقبل في الحياة سحر الربيع الذي أضاء بنور الزهور المتفتحة ، وراق بصفاء الورود الزاهية .

٣ — ينساب في الفضاء النسيم الدافىء في رفق ، كما ينساب الهواء الرقيق من بين جناحي الطائر حين يرفرف بهما ، وكما ترى السماء صافية زاهية قد انقشع عنها الغيوم وانحسر القتام .

٤ — والأرض بين أحضان السماء الدافئة تعبق الفضاء بالطيب المتضوع الذي يمتع عشاق الربيع ، وتبعث النشر الفواح الذي يسكر هيامى الطبيعة الساحرة .

٥ — صفاء الربيع الذي اشتمل على الكون ، شكل في الفضاء ثوباً سابغاً شفافاً ، أشبه بذلك الكأس البلوري الرائع ، كما أن خلاء الجو ونقاءه شكل من الأصوات ترجيعاً عذباً وموسيقى رائعة ، كأنها قلادة جذابة على صدر الفضاء .

٦ ، ٧ — وليس الفضاء وحده هو الذي يرقص طرباً ، بل تعجب كثيراً حين ترى العصفور يقفز سريعاً هنا وهناك في فرح وسرور ، لا يستقر على حال فقفزاته توقيعات موسيقية ، وحركاته أنغام متساوقة يعزفها فنان ماهر ، وفي أثناء ذلك تبرق عيناه ، التي انعكس عليها صفاء الجو وسحر الفضاء ، فهو حقاً قطعة حية من الربيع وسر الحياة فيها .

٨ – فالربيع لغز غامض ، وسحر دقيق . لا يقف عليه إلا الخاصة الذين يقفون على أسرار الكون وألغاز الحياة . كالشأن في البليغ الذي يفطن لكل إشارة ويعرف ما وراءها من المعاني العميقة والأسرار الدفينة .

٩ – الربيع فنان ماهر ، فالأرض الذي نفث فيها من سحره غير الأرض ، فصار اتساق الزروع فيها والحدائق والأنغام كالبساط الجميل الرائع في تناظر جذاب ممتع .

١٠ – ١٢ – الربيع عروس فاتنة يفيض دفءاً ويتفجر حناناً وحباً ، فالجو أصبح في نسيمه الدافىء وهوائه الحنون كالحبيب الذي يذوب شوقاً . ويغتلي وجداً . ويخفق قلبه شوقاً في تتابع وسرعة . وهو يترنح في سكره . ويسابق العذال ليلتمس الوصال بعد الهجر الطويل ، وهو يذرف دموع الشوق دمعة بعد أخرى في تتابع وتراسل ، ليطفىء حرارته ويشفي غلته كالرذاذ من المطر الهادىء الخفيف ، ينزل في رفق وصفاء .

نشأته وحياته :

ولد الشاعر حسين سرحان بمكة المكرمة ما بين عامي (١٣٣٣ هـ ، ١٣٣٤ هـ) الموافق عام ١٩١٥ م ، لكنه عاش متنقلاً في البادية والصحراء من شبابه إلى كهولته وفي ذلك يقول الشاعر :

« واليوم وأنا في نحو الخامسة والخمسين من عمري إذا صح أني ولدت في عام ١٣٣٣ هـ ، فقد كنا بدواً لا نؤرخ مواليدنا ولا وفياتنا وندعها لله »[1]

وتلقّى دروسه التعليمية في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة ، وظل بها حتى تجاوز سن السادسة عشرة من عمره . وقد اغترف فيها من المعارف

---

(١) الموسوعة الأدبية : عبد السلام طاهر الساسي ٢ : ٩٠ مكة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، دار الثقافة .

المتنوعة على يد أساتذة أجلاء ، أفاد منهم ، وظهر ذلك في شعره وأدبه ...

وفي عام ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م ترك التعليم ، وتفرغ لدراسة الأدب والشعر القديم والحديث على السواء هو وزملاؤه المعاصرون له مثل الأستاذ عريف ، ومحمد سعيد العامودي ، ومحمد حسن فقي ، ومحمد حسن عواد وغيرهم ، وكانوا يعقدون ندوات أدبية ونقدية في مختلف أنحاء مكة ، ما بين المسفلة وجرول والمعابدة ، يتناولون فيها كبار المفكرين والشعراء والنقاد والأدباء ، مثل المازني والعقاد وعبد الرحمن شكري وطه حسين ومحمد الغمراوي ومصطفى صادق الرافعي وسواهم . (١)

وكان أيضاً يعيش مع الجاحظ والتوحيدي وأبي هلال العسكري والجرجانيين وأبي قدامة وابن خلدون والذهبي والأصفهاني ، كما كان يعيش بين أرسطو طاليس وسقراط وأفلاطون ، وأفلوطين وأبيقور ، وجورجياس ، وكذلك مع برنارد شو وأناتوم فرانس ، وشكسبير وهيجو وجوته . (٢)

واشتغل الشاعر في مطلع حياته ببيع الأغنام في مكة ، لأنه ابن البادية والصحراء ، ومارس كثيراً من الوظائف في الدولة ، حتى عمل أخيراً رئيساً للتحرير في مطبعة الحكومة في مكة المكرمة ، وما زال يعمل في هذا المنصب حتى الآن (٣) .

واشتهر الشاعر بتواضعه الجم شأن العلماء والمفكرين ، وهذا مما يدل على تواضعه يقول حسين سرحان: وأنا امرؤ أعتقد أني على نصف عقل، إذا كان بعض الناس يزهون بعقول كاملة. ويزدادون عليها عقولاً أخرى،

---

(١) الموسوعة : ٢،٨٩ .

(٢) المرجع السابق : ٢ — ٨٨ .

(٣) مجلة المنهل : عدد ٢٧ ، ص ٨٣٥ .

وهم يؤمنون إيماناً تاماً بأن عقولهم كاملة ، هل هناك من له عقل كامل .. إذ لقد كان نبياً .. وإذا كان عاقلاً جداً مثل ابن سينا والفارابي ، فإنه يكون عندئذ مغروراً مفرطاً في الغرور ، وهل العقل الإنساني كامل ؟ [1] .

وهو من حيث نمائه الجسدي ضعيف البنية ناحل البدن ، مبتلي في جسده بالأمراض والعلل يقول : ما أعرف منذ أن عرفت نفسي من السادسة من عمري فصاعداً إلاّ وأنا معرض للأدواء والزمانات المتلاحقة ، وفي جسمي اليوم من أخمص قدمي إلى قمة رأسي أكثر من مائة كية بين خفيفة وثقيلة ... ثم أمسينا أجسادنا مثل الحرير مرهفة ، وأنفاسنا تصطدم بالنسيم العليل فترتد عنه ، فقد كنا نطأ على الشوك فآضت أقدامنا أشد حساسية من رؤوسنا . [2]

وتمتزج روحه بالسخرية التي لا تجرح العاطفة ، وتحتاج إلى ذكاء في إدراكها . وخاصة في النثر الأدبي الذي امتاز به عن شعره[3] . يقول عن نفسه :

« ولكن من يراني أو يسمعني أني ساخر بالحياة وبكل ما فيها مـن دواعيها ، لكن الواقع غير ذلك لأن الحياة تسخر بي أبلغ السخرية ، ثم تجعلني أداة في يدها لأسخر منها من باب التعويض ، وهو تعويض كاذب وإلى الله المشتكى » [4] .

عوامل شاعريته :

١ — كان للبادية أثرها في شعره حيث عاش متنقلاً بين ربوعها ومرابعها

---

(١) الموسوعة : ٢ / ٨٨ .
(٢) المرجع السابق : ٢ / ٩١ .
(٣) مقدمة الديوان : حمد الجاسر ، ص ١٠ .
(٤) الموسوعة : ٢ / ٩١ .

فأمضى شبابه. وأحيا كهولته فيها. يقول: قبل أكثر من ثلاثين عاماً كنا فتية خلطاء. وكنا متفاوتين في طرق معاشنا. وإن كان اتجاهنا واحد على وجه التقريب. منا من يعيش على بيع الأغنام مثلي أنا. [1]

فكان من مظاهر البادية في شعره الجزالة والقوة والفخامة.

٢ — سلامة الفطرة وصفاؤها التي صقلتها حياة الصحراء، فقفزت به إلى ساحة الشعراء الصادقين في شعرهم.

٣ — كان لتعليمه في مدرسة الفلاح بمكةالمكرمة أثر كبير في شعره. حيث تلقى العلم والمعرفة على أيدي علماء أجلاء. تأثر بهم وأفاد منهم.

٤ — وفي عام ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م تفرغ لمدارسة الأدب وللإطلاع على مذاهبه. فكان هذا التفرغ دافعاً قوياً لصقل شاعريته الموهوبة يقول الشاعر:

« كنا نجتمع على الأقدام من أسفل مكة في جرول والمسفلة إلى غيرها بالمعايدة. وكان رئيسنا أو يكاد محمد حسن عواد. فقد كان يحرر في مجلة (الإصلاح) التي يرأس تحريرها حينذاك محمد حسن فقي. كنا يومذاك أخفاء من الدنيا. فارغين للأدب قديمه وحديثه وكان المازني والعقاد والرافعي وشكري وطه حسينوالغمراويوغيرهم ألوية تنشر أمامنا. فنهرع تحتها وبين أفيائها. ونتناقش، ثم يصنع لنا غذاء. ونتفرق لنعود في الصباح الباكر ». [2]

٥ — شجعه نشر الشعر والأدب في الصحف والمجلات على التكثر من نظمه وعلى تهذيبه وإخراجه إلى القراء والنقاد في أحسن صورة،

---

(١) الموسوعة : ٢ / ٨٩ .
(٢) الموسوعة : ٢ / ٨٩ .

وأجمل تعبير ، فنال منزلة عند الأدباء والنقاد مثل حمد الجاسر ، الذي أعجب بشعره وهام به ، فقدم لديوان الشاعر حسين سرحان « أجنحة بلا ريش » .

٦ — اشتهر بمكتبته العامرة بأمهات الكتب العلمية والأدبية . التي حوت القديم والجديد، فتيسر له الاطلاع الشامل والثقافة الواسعة، والوقوف على الجديد من التيارات الأدبية الحديثة ، ولذلك كان أحد زعماء المدرسة الابتداعية الحديثة في السعودية .

٧ — مكنه منصبه كرئيس للتحرير في مطبعة مكة الحكومية من الاطلاع على كل جديد، ينمي فيه ملكة النقد والتحليل والمراجعة والتصحيح والتهذيب، وهذا ما يحتاجه الشاعر في فنه الشعري ، حيث يحتاج إلى المعاودة والتهذيب والصقل والنقد والموازنة .

الغرض من القصيدة :

وهو وصف الربيع ، فقد كان هذا الغرض من الأغراض القديمة في الشعر العربي القديم ، وخاصة في العصر العباسي ، حيث نظم في فنه شعراء كثيرون منهم أبو تمام، والبحتري وابن الرومي ، وتخصص فيه شعراء كثيرون منهم الصنوبري والسري الرفاء ، وابن خفاجه الأندلسي وغيرهم .

ولكن شعرهم الوصفي خلا من التشخيص الذي هو من سمات العصر الحديث في وصف الربيع .

أما حسين سرحان في وصفه للربيع وهو من الشعراء المعاصرين فقد كان التشخيص في قصيدته التي معنا ضعيفاً، ظهر في صور أدبية باهتة، ولم تظهر قوته ولا حيويته إلاّ في الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة :

حيث صوّر الربيع في هذه الأبيات في صورة عاشق محب يذرف دموعه

ويخفق قلبه . ويذوب شوقاً ، ويسرع الخطى إلى الحبيب بعد طول الهجر مترنحاً في سكره مبتهجاً بفرحة اللقاء .

وليته بثّ التشخيص في بقية الأبيات والصور الأدبية لخلع على هذا الغرض القديم جدة وابتكاراً. ولكان الشاعر من الرواد المجددين في شعر الطبيعة والربيع .

وليس معنى ذلك أن الشاعر مقصّر في كل الصور، فقد رأيت الصور التشخيصية الرائعة في الأبيات الثلاث الأخيرة من القصيدة، وحسبه ذلك فهو من مدرسة المحافظين المتطلعين إلى التجديد .

الخصائص الفنية في شعره :

أولاً : الإحساس الصادق والشعور العميق ، ولذلك خلا من البهرج والزيف والتضليل .

ثانياً : شعره عميق الصلة بواقعه وبيئته التي عاش فيها ، وتطبع بطابعها البدوي ، فمع أنه من مواليد مكة إلاّ أنه ابن البادية ، عاش متنقلاً بين مرابعها ومراتعها شاباً وكهلاً ، وتسري الروح البدوية في شعره مثل قوله :

أفلا ترى العصفور في جمحاتـــه جذلان يومض مثل ومض البارق

فالعصفور يجمح كالفرس ، ويومض مثل ومض البرق ، وذلك من وحي الطبيعة في الصحراء والبادية .

ومثل قوله :

والعرى أسبغ ثوب كأس رائـــع والعطل رجع صوت حلى شائق

فإيثاره التعبير عن الربيع بالعرى وبالعطل يدل على نحتها من واقعه الذي عاش فيه ، وهي الصحراء والبادية ، لا من معاجم اللغة .

ثم ترديد الأصوات في جو الربيع الساكن الهادي، يشبهه الشاعر بصوت الحلى الممتع الجذاب على صور العذراء ، فهذه صورة بدوية رائعة من واقع حياة الشاعر في البادية .

ثالثاً : سلامة الفطرة وصدقها ، لأنها كانت وليدة البادية الصافية، ونبتة الصحراء الخالية من الزيف ، ولذلك كان الشاعر ذا فطرة سليمة ، وحس لغوي صادق ، تسيل منه الألفاظ القوية والكلمات الجزلة في عذوبة ، فيظن القارىء بأن الشاعر قد انتقى هذه الألفاظ القوية من معاجم اللغة، ولكن الواقع أن فطرته السليمة ، هي التي انتقت التعبير الصادق والأسلوب الجزل ، ولا يفهم ذلك إلاّ من عاش عيشة الشاعر في قلب البادية والصحراء .

ومثل الألفاظ الجزلة والأسلوب المحكم القوي في هذه القصيدة عودة الربيع في صورة الوامق ، والأرض مسجورة ، والعرق أسبغ ثوب كأس ، والعطل رجع صوت حلى . وكأنما دحيت ، ويحتث الخطى لمساوي ، وينهل بالمطر الهتون .

رابعاً : يميل الشاعر إلى مخاطبة العقل أكثر من ميله إلى مخاطبة الحس، فغلب على شعره العقل والفكر على العاطفة والشعور، ولذلك عده نقاد العصر من شعراء الفكرة لا من شعراء العاطفة ، فهو يميل إلى مدرسة الديوان لا إلى الرومانسية ولا إلى مدرسة أبولو .

وقـد ألحقه حمد الجاسر بأبي العلاء المعري وأضرابه كالخيام ممن عمدوا إلى مخاطبة العقل ، ومـع ذلك شعر يؤثر في النفس

ويهز أعماقها ، وما الشعر سوى ما كان بهذه الصفة إذا ساغ لي أن أعرف الشعر ، متأثراً بما عرفته عنه ، ولكني لا أرضى بالنزول بمستوى شعر حسين إلى مستوى ذلك الفهم الفج الخاطىء لشعر الخيام وأضرابه[1]

ومن شواهد غلبة العقل والفكر على العاطفة والشعور قوله :

معنى الربيع أراه أعظم موجز من أن يشير إلى دلالة ناطق

فالربيع أعظم من بليغ ، وأبلغ في معناه من إشارة البليغ ودلالة الناطق ، فالشطرة الأولى يستخدم فيها الشاعر مقياس البلاغة في شعره والشطرة الثانية يستخدم قواعد المنطق ومقدماته ، ليرتب عليها النتائج والحكم ، وذلك في أسلوب يميل إلى العقل أكثر من ميله إلى العاطفة التي هي جوهر الشعر ولبه .

خامساً : جزالة الأسلوب وصدق التعبير ، على نحو ما كان عليه الشعر في العصر العباسي من القوة والجزالة والرصانة ، وهذا يجعل الشاعر من مدرسة المحافظين ، من حيث الشكل في الألفاظ والأساليب ويجعله أيضاً من مدرسة المجددين من حيث المضمون في عمق المعنى وتعليله وإقامة الأدلة على صحته ، فهو يجمع بين المدرستين المعاصرتين مدرسة المحافظين ومدرسة المجددين لكنه إلى الأولى ألصق ولها أقرب .

سادساً : كان الشاعر في خياله الشعري ابن الصحراء ، فقد نسج صوره الخيالية من واقع البادية ، فكان خياله مألوفاً قريباً ، ومتداولاً معروفاً يسير فيه على نهج فحول الشعراء من العصر الأموي والعباسي مثل قوله :

تجد الفضاء يدف دفة طائر وترى السماء تخف خفة عاشق

---

(١) مقدمة الديوان : حمد الجاسر ، ص ٩ .

فالنسيم في الفضاء يرفرف كجناحي الطائر ، والسماء في صفائها خفيفة مثل خفة العاشق ، وهان صورتان من واقع الخيال عند الشعراء القدامى .

ومثل قوله :

العرى أسبغ ثوب كأس رائع والعطل رجع صوت حلى شائق

فالعرى في صفائه كالكأس الرائق ، والصوت في الخلاء كصوت الحلى ذلك خيال قديم اشتهر به الشعراء ، وكذلك الصور الخيالية في الأبيات الآتية لا تخرج عن النمط التقليدي القديم عند فحول الشعراء مثل قوله :

والأرض غير الأرض فيه كأنما دحيت بكل جمالها المتناسق

وقوله :

والجو أوجع من ضمير ذائب وجداً وأسرع من فؤاد خافق

وقوله :

سكران يلتمس الوصال لهاجر حباً ويحتث الخطى لمساوق

وقوله :

ينهل المطر الهتون إلى مدى ويرذ أي رذاذ وبل رائق

سابعاً : أما عناصر التصوير الأدبي فقد اكتملت في القصيدة ، فتجد الحركة في عودة الربيع ، وفي دفة الفضاء ، وخفة السماء ، وجمحات العصفور ودورانه كالدوامة ، والجو أسرع من فؤاد خافق ، ويحتث الخطى إلى غير ذلك .

وتجد اللون والرائحة في الحدائق ، والأزهار والزنابق والطيب وتجد شكل الربيع في العرى ، وفي الأرض المسجورة .

وهكذا فعناصر التصوير في الربيع قد لمسها الشاعر لمساً يتناسب مع المقام ، لكنه لم يكن على صواب حينما جعل الجو يتوجع ويتألم كالضمير الذي ذاب وجداً ، فهذا لا يتناسب مع جمال الربيع وبهجته وكان الأقرب أن يجعل الجو يغتلي شوقاً ، أو يذوب حباً وهكذا .

حسين سرحان بين النقاد :

كانت شاعرية سرحان مثار إعجاب لكثير من الأدباء والنقاد المعاصرين فهز شعره مشاعرهم ، وأثار انتباههم ،ودفعهم إلى دراستهوتحليله وتفسيره ونقده ليأخذ الشاعر مكانه الصحيح بين شعراء عصره وليرتبط فنه الأدبي بمدرسة أدبية ونقدية تتلاءم مع اتجاهه ، وليضعه النقاد فيمنزلة تليق بشاعريته.

فيرى الدكتور خفاجي : أن الغلالي يحتذي حذو علي محمود طه في موسيقاه وصوره الغنائية ، وعواد يتبع خطوات مدرسة أبولو ، وأبي شادي خاصة ، وفي شعر حسين سرحان صور من غنائية ناجي العذبة . (١)

ويقول عبد الرحيم بكر :

كنت ذات يوم أقرأ قصيدة لشاعرنا حسين سرحان يصف فيها فتاة اختطفها الموت ، وهي في تفتح شبابها ، فقال في بيت منها :

واستضحكت شفتاها ثم قلصهـــا جفاف ثغر له من قبـــل إرواء

ثم لم ألبث بعد مدة قليلة أن ذكرت قول المازني من قصيدته : « فتى في سياق الموت » :

---

(١) من تاريخنا المعاصر : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

قــد قلصت ثغــره منيتــه كأنه للحمام يبتسم

وحدثت نفسي بأن السرحان كان على صلة بإنتاج المازني حتى أخذ يتمثله في هذه الصورة الشعرية ... ولكن هذا لا يعني أن السرحان كان فاقداً الشخصية في فنه ، وإنما يعني فقط أن السرحان إنحاز ولو في بعض انتاجه إلى التأثر بالثقافة المصرية المعاصرة ، وبانتاج بعض أعلامها . (١)

ويقول أحمد العطار :

إن السرحان كان يحاول تقليد المازني في أسلوبه الساخر (٢) ويقول عنه الجاسر أن شعره يتميز بصدق الإحساس وعمق الشعور ويلحقه بشعر أبي العلاء المعري والخيام ، وأنه ابن الصحراء في كثير من أخيلته وتعبيراته إلا أنه واسع الإطلاع بدرجة عجيبة حقاً (٣) .

ويقول عنه عبد السلام طاهر الساسي :

إنه شاعر فحل مكتمل الأداة ، مجدد من المدرسة الإبتداعية التي لا تتهيب الماضي ، بل تقتحمه ، يطوف بشعره آفاق الفكر ، ولا يكاد يلم بالعاطفة إلا قليلاً ، لا يعيبه شيء غير أنه يؤثر العزلة والانطواء .. والسرحان شاعر موهوب في طليعة شعرائنا المبرزين، وهو أحد زعماء المدرسة الابتداعية، وكاتب لبق من كتاب الطبقة الأولى، الذين يترفعون عن البهرج والزيف والتضليل (٤) .

---

(١) الشعر الحديث في الحجاز : عبدالكريم بكر – المدينة المنورة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
(٢) المقالات : أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٧٩ .
(٣) مقدمة الديوان : حمد الجاسر ، ص ٩ ، ١٠ .
(٤) الموسوعة الأدبية : ٢ / ٨١ .

مدرسة الشاعر :

كان الشعر السعودي في العصر الحديث متأثراً بالتيارات الأدبية المعاصرة في الشرق والغرب على السواء فقد تأثر الشعراء بمدرسة المهجر ، واستهواها عدد كبير من الشعراء، كما تأثروا بمدارس الشعر في العراق والشام ومصر .

وثاروا أثناء ذلك على الاتجاه التقليدي الباهت، الذي سار عليه شعراء في ظلال الحكم التركي ، منهم ابن سحمان ، وعبد المحسن الصحاف ، وعلي السنوسي ، وعلي عبدالله الحنفي [1] .

ولذلك نشأ في ظل النهضة السعودية مدرستان كبيرتان :

١ – مدرسة المحافظين في الشعر السعودي :

وهم الذين حافظوا على التراث الشعري القديم في أزهى عصوره ، وساروا على نهج القصيدة في الشكل والمضمون ، ولكن هذه المدرسة اتخذت إتجاهين متميزين .:

أ – الإتجاه الأول : الكلاسيكية التقليدية :

وهم الذين ساروا على نهج القصيدة القديمة ، فحافظوا عليها في الشكل والمضمون ، وحافظوا على بنـــاء القصيدة في أسلوبها ومعانيها وخيالاتها وصورها وموسيقاها .

ومن أشهر شعرائها : الغزاوي ، وفؤاد شاكر ١٣٢٨ هـ – ١٩١٠ م وعبد الوهاب آشي ١٣٢٣ هـ – ١٩٠٥ م وطاهر زمخشري ١٣٣٢ هـ – ١٩١٣م ومحمد صبحي ، وأحمد جمال ، وحسن القرشي .

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د. بكري شيخ أميـــن ٣٧٦ ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

ب ـ الاتجاه الثاني : الكلاسيكية الجديدة :

وهم الذين حافظوا على القصيدة في شكلها ومضمونها ، لكنهم جددوا في جوانب منها فقط ، لا في كل القيم الفنية ، وكان منهم الشاعر حسين سرحان ، في الأفكار والمعاني فهو شاعر الفكرة ، ومنهم من جدد في الأغراض وبعض الصور والخيالات . ومن أشهر هؤلاء محمد سعيد عامودي ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٥ م ، وأحمد العطار ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م وحسين عرب ١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م ، وحسين سراج ١٣٣١ هـ ـ ١٩٢٢ م وحمزة شحاته ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٦ م ، وعبدالله بن خميس ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م وعثمان بن سيار ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م ، ومحمد بن علي السنوسي ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م ، ومحمد سعيد الحنيزي ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م [١] .

٢ ـ مدرسة المجددين في الشعر السعودي :

وهم الذين ثاروا على المحافظين ،وانخرطوا في تيارات المذاهب الأدبية الحديثة من رومانسية ورمزية وغيرهما ، ومن شعراء هذه المدرسة :

محمد حسن عواد ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م ، ومحمد حسن فقي ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م وعبد السلام هاشم رشيد ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م ، وعبدالله الفيصل ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م ، ومقبل العيسى ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م ، وإبراهيم العلاف ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٠ م .

ومن شعراء نجد محمد العامر الرميح ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م . ومحمد السليمان الشبل ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م ، وعبدالله بن إدريس ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م وسواهم من الشعراء وهم كثيرون [٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

يقولون

للشاعر العراقي الرصافي

١ — يقولون في الإسلام ظلماً بأنه يصد ذويه عن طريق التقدم
٢ — فإن كان ذا حق فكيف تقدمت أوائله في عهدها المتقدم
٣ — وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم
٤ — هل العلم في الإسلام إلا فريضة وهل أمة سادت بخير التعلم
٥ — لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلا بصائر أقوام عن المجد نوم
٦ — وحلت له الأيام عند قيامه جباهاً وأبدت منظر المتبسم
٧ — فأشرق نور العلم من حجراته على وجه عصر بالجهالة مظلم
٨ — ودك حصون الجاهلية بالهدى وقوض أطناب الضلال المخيم
٩ — وأنشط بالعلم العوائم وابتني لأهله مجداً ليس بالمتهدم
١٠ — وأطلق أذهان الورى من قيودها فطارت بأفكار على المجد حوم
١١ — وفك إسار القوم حتى تحفزوا نهوضاً إلى العلياء من كل مجثم
١٢ — فخلوا طريقاً للبداوة مجهلاً وساروا بنهج للحضارة معلم
١٣ — فدوت بمتن العلا نهضاتهم كزعزع ريح أو كتيار عيلم
١٤ — وعما قليل طبق الأرض حكمهم بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
١٥ — وقد حاكت الأفكار عنداً صدامها تلألؤ برق العارض المتهوم
١٦ — ولاحت تباشير الحقائق فانجلت بها عن بني الدنيا شكوك التوهم
١٨ — فليس لمثر نقصه حق معدم ولا عربي بخسه فضل أعجم
١٩ — ولا فخر للإنسان إلا بسعيه ولا فضل إلا بالتقى والتكرم
٢٠ — وليس التقى في الدين مقصورة على صلاة مصل أو على صوم صيّم
٢١ — ولكنها ترك القبيح وفعل ما يؤدي من الحسنى إلى نيل مغنم

٢٢ – فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلا وما خصت التقوى بترك المحرم
٢٣ – فهل مثل هذا الأمر يا أولى النهي يكون عثاراً في طريق التقدم
٢٤ – وإن لم يكن هذا إلى المجد سلما فأي ارتقاء بعد أم أي سلم
٢٥ – ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم رويداً فقد فارقتم كل مأتم
٢٦ – فلا تنكروا شمس الحقيقة أنها لأظهر من هذا الحديث المرجم
٢٧ – علونا وكنتم سافلين فلم نكن لنبدي إليكم جفوة المتهـكم
٢٨ – ولم نترك الحسنى أوان جدالكم وتلك لعمري شيمة المتحلم[1]

شرح المفردات اللغوية :

يصد : يمنع .
بصائر : القلوب والمراد عقيدة القلب وخواطره .
وحلت : أقامت .
حجراته : دوره والمراد مدارسه وجامعاته ومعاهده .
ودك : هدم .
حصون : جمع حصن وهو ما يتحصن به من خطر العدو .
قوض : نقض من غير هدم والمراد الهدم .
أطناب : جمع طنب وهو حبل يشد به سرادق البيت والمراد الإستحكام
الضلال : الحيرة والمراد الباطل وهو ضد الهدى .
المخيم : المبنى والمقام من خيم الضلال إذا أقام .
حوم : من حام حوماً إذا دار والمراد التحليق والعلو .
إسار : الحبس والمراد التماسك والشدة .
تحفزوا : اندفعوا .

---

(١) ديوان الرصافي ، ص ١٢٨ ، طبعة ١٩١٠ م .

المجثم : الثابت في مكانه لا يبرحه .

معلم : ظاهر واضح .

نهج : طريق والمراد منهج .

خلوا : تركوا .

مجهلاً : غير معروف .

دوى : ارتفع صوته والمراد علا صوته .

المتن : المرتفع من الشيء والمراد طريق العلا .

زعزع ريح : الريح الشديدة والمراد سرعة انتشار النهضة .

تيار عيلم : تيار البحر والمراد الغزارة والعمق .

العارض : السحاب الممطر .

المتهوم : الكثير المطر .

التوهم : الظن والمراد الضلال .

أولى النهي : أصحاب العقول .

عثاراً : مانعاً ومعوقاً .

جاروا : اعتدوا وظلموا .

مأتم : كل مجتمع فيه حزن أو فرح والمراد الثاني .

المرجم : لا أساس له من الحقيقة والمراد الكذب الملفق .

جفوة المتهكم : قسوة المستوىء .

أوان : وقت وحال .

شيمة : خليقة .

المتحلم : الحليم الذي يعفو ويصفح .

معاني الأبيات :

١ – ٣ : كذب أعداء الإسلام حينما يفترون عليه ظلماً ، فيرمونه بالجمود والتخلف بالعجز والرجعية ، فهو لا يدفع المسلمين إلى ما وصل إليه الغرب من حضارة ونهضة ، وهذا بهتان عظيم ودعوى باطلة ، وإلا كيف تقدم المسلمون الأوائل . فأشرق نور الإسلام على العالم ، وشملت حضارته الشرق والغرب . فالعجز اليوم ليس سببه الإسلام ، فهو دين المعرفة والحضارة . ولكن العجز والتخلف إنما هو في المسلمين أنفسهم ، الذين لم يطبقوا تعاليمه ، ولذلك تخلفوا عن ركب الحضارة ، ولو عملوا بها لأعادوا إلى أنفسهم أمجاد الأوائل وحضارة الإسلام الكامنة في رسالته .

٤–٧ : وإذا كان أعداء الإسلام يعتقدون أن العلم هو أساس حضارتهم وبه ثارت أوربا على الكنيسة المتزمتة ، وبددت ظلامها ، فإن هذا من دين الإسلام ؟ الذي جعل العلم فريضة على كل مسلم ، وما سادت أمة الإسلام إلا بالمعرفة والعلم ، الذي أيقظ أمة غابت في الجهل ، وغرقت في الضلال والظلام ، فاستنارت بصيرتهم ، وسموا إلى مدارج المجد وقمم العلا ، أعزة لا أذلة كما كانوا ، شامخة هاماتهم ، مشرقة وجوههم ، مستبشرة نفوسهم ، لأن نور العلم والمعرفة أشرق في معاهد الإسلام وجامعاته ، فبدد ظلام الجهل وأذهب عصوره القاتمة ، لتسير مواكب النور والحضارة والنهضة في الحياة الجديدة .

٨–١١ : وحضارة الإسلام في القديم دكت حصون التخلف والجاهلية وبددت معاقل الجمود والظلام ، وهدمت جحافل الضلال الذي خيم على العالم بالدمار ، وبعلومه هبت العزائم من ثباتها ورقدتها ، لتصنع التاريخ والمجد ، وتبني حضارة شامخة ، لا يتطاول إليها أحد ، وبنور هدايته حرر العقائد من الخرافات والأوثان ، وأطلق العقول من الجمود والتخلف ،

فسمت الإنسانية بعقيدة قويمة طهرت النفوس ، وبفكر مستقيم حلق بهم في سماء المجد ، وبحرية الإسلام انفكت قيود العبودية وأغلال الظلم ، لينهض العالم من كبوته إلى منازل العلا .

١٢ — ١٦ : وبذلك انتقل العالم من جمود التخلف وظلام التقاليد المزمنة إلى نور العلم والحضارة ، التي أشرقت على الدنيا كلها ، وأضاءت جنباتها في قدرة عجيبة وسرعة فائقة ، تحطم الجمود أياً كان موقعه ، وتبدد الظلام أينما حل ، مثل العواصف التي لا تقف دونها العوائق ، ومثل البحر الخضم الذي تتحطم تحت أمواجه الصخور .

وبهذه السرعة الفائقة لحضارة الإسلام وعدالة تعاليمه ساد أهله ، وأنزلوا الدنيا على حكمهم ، وذلك في فترة وجيزة ، وحينما يحل نورها في كل موقع يخطف بالأبصار ، ويأخذ بالعقول والأفكار إلى مواطن الحق والخير مثل البرق الخاطف الذي يعقبه المطر الغزير ، فتهتز له الأرض بالخير والحياة ، ليعلم الناس حقيقة الإسلام ، بأنه دين الإنسانية ومصدر الحضارة ، فقد قضى على الزيف والضلال ، وبدد ظلام الجهل ، وفساد الجمود والعقائد .

١٧ — ١٩ : الإسلام دين الحضارة ، لأنه حفظ على الفرد إنسانيته وحقق له كرامته ، فالناس سواسية لا فضل لأحد على الآخر ، فكلهم من آدم ، فلا ينتقص حقُّ الفقير من مال الغني بشيء ، ولا ينزله فقره عن المنزلة التي نالها بالإيمان مع الغنى على السواء ، ولا ينقص فضل الأعجمي من مكانة العربي شيئاً ، فلا فضل لأعجمي على عربي إلا بالعمل والجهاد ولا لإنسان على آخر إلا بالتقوى وكرم الأخلاق .

٢٠—٢٤ : ومن مظاهر حضارة الإسلام أن التقوى في شريعته لا تقتصر على الصلاة والصوم وسائر الأركان ، بل تكون بها وبغيرها من ترك الفحشاء

وهجر القبيح والقيام بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة ، التي ترتقي بالإنسان إلى منازل الإعجاب والتقدير .

فالتقوى تسمو بصاحبها من وهاد الذل والتخلف إلى العمل الذي يحقق له العزة والكرامة ، وإلى السعي في طلب العلاء ، حتى يحقق المجد لنفسه .

وهذه هي حقيقة التقوى التي افترى عليها أعداء الإسلام ، فقصروها على ترك الحرام ، عجباً لهم .. ؟ يا أصحاب العقول النيرة ، كيف يكون الإسلام بهذه التعاليم الصالحة جامداً ؟ لا يدفع أهله إلى الحضارة ، وكيف يصير بهذا التشريع البناء صخرة في طريق التقدم ؟ يتحطم على جنباتها ؛ ولن تكون مثل هذه التعاليم والتشريعات سبباً في التخلف والجمود ، بل هي جديرة بصنع الحضارة ، وبالترقي في سلم المجد ، وليس بعد ذلك من رقي أو تقدم أو حضارة « إن هذا إلاّ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون قد جاءوا ظلماً وزوراً » .

٢٥ ــ ٢٨ : وهذه الحقيقة تضطر القائل إلى آن يرفع صوته في وجه الأعداء الجائرين على الإسلام ، ويقول لهم : مهلاً فقد أخطأتم في زعمكم ولن تستطيعوا حينئذ أن تنكروا حقيقة الإســـلام ، فهي كالشمس في وضوحها لا تخفى على أحد ، على العكس من الحديث المفترى عليه ، فهو خفي لا يظهر لأحد ، لأنه منكم هبط بكم سافلين ، وسمت بنا الحقيقة إلى العلا ، فعاملناكم بالحسنى ، وأنتم لا تستحقون ، وهذا هو خلق الإسلام يعامل أهل الكتاب بالحسنى وقت الجدال . « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » وتلك صفة المسلم وشيمة الحليم ، التي يتعامل بها مع خصمه اللدود ، وهي أيضاً من أمجاد الإسلام وحضارته .

نشأة الشاعر وحياته :

حمل معروف الرصافي لواء التجديد في الشعر على ضفاف دجلة من غير منازع [١] وقد أثرت العربية بما أفاض عليها من المعاني البكر ومن طرافة أشعاره وجدتها . [٢] .

ولد عام (١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م) في بغداد ، وحفظ القرآن . وقال الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره . [٣]

ثم دخل المدرسة الحربية ، فأكسبته روح الجندية الدفاع عن الإسلام والعروبة في شعره ، ثم تركها ودخل المدرسة الدينية ، وتتلمذ على أستاذه محمود شكري الألوسي صاحب كتاب « نهاية الإرب في معرفة أحوال كلام العرب » وروضة شيخه على الخطابه ، وحفظ على يديه ألفية ابن مالك وقرأ لها عدة شروح . وكان مولعاً بحفظ الشواهد النحوية فلقبه أستاذه « بالشواهدي » [٤] .

وكان أديباً عالماً نشر شعره في مختلف الصحف والمجلات في العالم الإسلامي والعربي وتركيا ، وترجم بعض الأشعار والروايات من التركية إلى العربية مما يدل على إجادته للغة التركية . [٥]

واشتهر الرصافي بثقافته الواسعة ورحلاته الكثيرة ، فرحل إلى الأستانة وظل بها مدة تتسلط حوله الأضواء لثقافته وشعره، ثم عاد إلى بغداد عام ١٩٢٣ ، وأصدر الجزء الأول من ديوانه قبل ذلك بكثير عام ١٩١٠ م

---

(١) ذكرى الرصافي الرشودي ، ص ١٠ .
(٢) عبقرية الرصافي : خلوصي ، ص ١٠ .
(٣) ذكرى الرصافي : الرشودي ، ص ٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
(٥) مجلة العالم الإسلامي ، ص ٣١ ، عدد اكتوبر ، ١٩١٦ م .

وتوثقت صلاته بزعماء العالم العربي وبأدبائه وشعرائه ومفكريه ، فكان من أصدقائه إسعاف النشاشيبي ، وخليل السكاكيني ، وفي سوريا الأمير شكيب إرسلان ، ومحمد كرد علي .[1]

وفي مصر عبدالعزيز جاويش ، والشيخ محمد رشيد رضا ، وطه حسين[2] .

وفي تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، والشيخ صالح الشريف وغيرهم .[3]

وبعد عودته إلى العراق شغل منصب رئيس لجنة التأليف والترجمة ثم اشتغل بالصحافة ، والتدريس ، وأخيراً انتخب نائباً لرئيس المجلس النيابي ، ثم ترك الوظائف ، وظل ينشر الشعر على العالم العربي حتى توفي عام (١٣٦٥ هـ — ١٩٤٥ م) في السبعين من عمره ، بعد أن خلد حياته في شعره الإنساني والإجتماعي والإسلامي والوطني .[4]

عوامل شاعريته :

١ — تربيته العسكرية التي غرست في نفسه روح الجندية ، فدافع بشعره وقلمه عن الوطن وعن الإسلام والعروبة .

٢ — حفظه للقرآن الكريم نمى في نفسه ملكة الحفظ ، ورتابة الإيقاع الموسيقي في الكلام ، فأعانه ذلك على نظم الشعر الموزون المقفى .

٣ — تأثر بأستاذه محمود شكري الألوسي ، الذي كان يلقبه بالشواهدي لكثرة محفوظاته من الشواهد الشعرية مما أحيا فيه ملكة النظم وموهبة الشعر .

---

(١) الرصافي : مصطفى علي ، ص ١٠٢ .
(٢) المرجع السابق : ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق : ١٠٥ .
(٤) ذكرى الرصافي : الرشودي .

٤ – ثقافته الواسعة ورحلاته الكثيرة التي عمقت فكره ووسعت مداركه، ولذلك كان شعره عميقاً ، يهتم فيه بالمعنى ، ويثور على اللفظ وخاصة في المرحلة الثانية من عمره ، ولذلك جعله النقاد من المجددين في المعنى وفي الأغراض الأدبية ، مثل الشعر الإنساني ، والاجتماعي والوطني والقصصي والفلسفي .

٥ – تأثر بحافظ إبراهيم في نقاوة ألفاظه وصدق تراكيبه ، وفضل المعنى عند أحمد شوقي فتأثر به في ذلك .

٦ – كان ولوعاً مغرماً بشعر النابغة الذبياني ، فقد رأى في شعره أقصى ما وصل إليه الكلام من بلاغة . (١)

٧ – تأثر بأبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري ، وقال : لم أر شاعرية تعلو على شاعرية المتنبي ، ولأن المعري كان أمه وحده بفلسفته العليا وحكمته الناصعة ، وقال فيه : إنه شاعر البشر .(٢)

٨ – شجعه ذيوع شعره واشتهار أدبه على نظم الشعر والتكثر منه وصقله وتهذيبه .

٩ – تقدير أهل عصره لشعره والاهتمام به ، فعده رئيس المجمع العلمي منير القاضي شاعر العرب الأوحد والأكبر (٣) ، فكان ذلك دافعاً قوياً لتهذيب شعره وصقله .

١٠ – اشتغاله في منصب هيئة التأليف والترجمة ثم الصحافة مكنه من التفوق الشعري لاطلاعه على المنشور والمؤلفات وتحليلها ونقدها ، مما يربي فيه ذوق الأديب والناقد البصير .

---

(١) دروس من تاريخ الأدب : للرصافي ، ص ٢٠ .

(٢) الرصافي : مصطفى علي ، ص ٢١٨ .

(٣) مجلة الوادي العراقية ، عدد ١٤ مارس ، ١٩٥٩ م .

الغرض من القصيدة :

هذه القصيدة بعنوان « يقولون » وهو موضوع يحمل في ذاته غرضاً من الأغراض الشعرية القديمة ، وهو الدفاع عن الإسلام والذود في سبيله .

ونشأ هذا الغرض الأدبي على يد إمامه ورائده الأول حسان بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه ، وكان من الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية والإسلام ، فقد جند شعره بعد إيمانه للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه رضي الله عنهم ، وللذود عن الإسلام ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر الإسلام . وقال له : كيف تهجو قومي وأنا منهم ، فقال حسان : أسلك كما أسل الشعر من العجين . ومن أشهر قصائده ، قصيدته التي وجهها إلى أبي سفيان بن حرب حيث قال في مطلعها :

ألا أبلغ أبا سفيـــان عـــني فأنت مجوف نخب هـــواء [1]

وله شعر كثير في الدفاع عن الإسلام ، وبيان فضائله ، وتشريعاته وأخلاقه الفاضلة ، وآدابه الحسنة ، وشاركه في ذلك عبدالله بن رواحه وكعب بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم .

وسار الرصافي في قصيدته على هذا النهج للدفاع عن الإسلام وبيان محاسنه وفضله على البشرية ، ولكنه كان يتناول هذا الغرض من زاوية أخرى يتكيء فيها على عمق ثقافة عصره ، وتنسيق فكره ، لتمجيد القيم الإسلامية الحضارية ، والمبادىء التشريعية الإنسانية ، من غير مدح لأفراد بذاتهم ، أو ثناء صريح لشخصهم ، وبذلك ظهر الغرض في ثوب جديد يشتمل على فكر منظم ، تسري فيه روح الحضارة والرقي والتقدم ، بما

---

(١) ديوان حسان بن ثابت .

يتناسب مع عصره الذي يعيش فيه ويختلف عن حياةالبساطة والقرب وعدم التعقيد ، الذي كان يعيشها شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتظهر الخصوبة والعمق في تناول الرصافي في أثر التشريع الحنيف في بناء الحضارة الإسلامية، التي بلغت بالأوائل المجد والرفعة والرقي،وتلك لمحة جديدة لم تكن في شعر الأوائل لهذا الغرض في صدر الإسلام .

وليس هذا العرض من قبيل الموازنة بين الشاعرين ، لأن الموازنة لا تصلح بين شاعرين في عصرين مختلفين تماماً ، فكل واحد منهما يمثل عصره في الشعر أصدق تمثيل ، وإنما هو من قبيل الموازنة التي توضح تطور هذا الغرض الشعري ، ودرجة ازدهاره ورقيه فقط ، وحسب الشاعرين هذا الغرض بالشكل الذي يتناسب مع عصريهما .

وفي شعر الرصافي ظهر هذا الغرض في شعر إنساني يدافع به الشاعر عن الإنسانية في معناها النبيل ، وبالأفق الواسع الذي يشمل حق الإنسان من الرقي والتقدم والحضارة،إذا تمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والمبادىء الشرعية السامية .

الخصائص الفنيـــة

أولاً : خصائص الموضوع :

ظهر أن الموضوع في قصيدة الرصافي هو حضارة الإسلام ، واستقامة تشريعاته ، لبناء المجتمع الفاضل في أسمى مواطن التقدم والرقي من غير إفراط أو انحراف عن الجادة ، وتضمن موضوعها عدة أفكار رئيسية وعناصر إنسانية بنيت عليها القصيدة وهي بإيجاز :

١ ــ رد الفرية التي طعن بها أعداء الإسلام في وجهه المشرق، ودحضها بالحجة القاطعة ، والبرهان الساطع ، مما يجعل العدو يعرف كذبه وافتراءه على الإسلام ، وذلك في الأبيات الثلاثة الأولى .

٢ ــ أصالة العلم في التشريع الإسلامي وعلو منزلته ، فهو أساس التشريع في الدين ، حيث كان فريضة على المسلمين ، بينما كان العلم عند أعداء الإسلام ليس من شريعتهم ولا عقيدتهم ، بل كان هو في ذاته ثورة على العقيدة ، والتزمت الديني في الكنيسة ، ولولا ثورتهم العلمية على دينهم لما حققوا هذه النهضة الحديثة ، وهم على العكس من شريعة الإسلام المفترى عليه ، فكان العلم فيه هو أساس التشريع ، وشتان بين حضارة زائفة نابعة من علم ثارت به أوربا على عقيدتهم المتزمتة وبين حضارة كان العلم فيها اساساً من اسس التشريع الاسلامي الحنيف ، وذلك في البيت الرابع حتى نهاية البيت السادس عشر .

٣ ــ أساس الحضارة في الإسلام هو الحرية ، فلن تبلغ أمة مجداً ولا عزاً إلا بفضل التحرر من ربقة العبودية ، كما في البيت السابع عشر .

٤ ــ محاربة الفقر والبذل للمحتاجين هما أساس الحضارة والتقدم في شريعة الإسلام كما في البيت الثامن عشر .

٥ ــ والحضارة في الإسلام قامت على أساس المساواة بين الناس جميعاً لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، كما في البيت التاسع عشر .

٦ ــ التقدم ومحاربة الجمود والاستبداد هو الجوهر في حضارة الإسلام فليست حضارته محصورة في أركانه ومحرماته وترك الفحش والقبائح فقط بل حقيقة التقوى في بناء الحضارة الإسلامية تكون في الجد والإجتهاد وبالسعي في طلب المجد وتحقيق المعالي ، كما في البيت العشرين إلى البيت السادس والعشرين .

٧ ــ الحلم والسماحة هما من شيم المتحضرين وخلق المسلمين الذين ارتفع بهم الإسلام ليعفوا ويصفحوا عن المسيئين ولو كانوا أعداء الإسلام ويتعاملوا بالحسنى مع المجادلين من أهل الكتاب، وهذا مظهر من مظاهر حضارة الإسلام .

خصائص الأفكار في القصيدة :

١ ــ كانت الأفكار في قصيدة الرصافي واضحة جلية لا تخفى على القارىء الذي يعرف شيئاً من التشريع الإسلامي وحضارته الأصيلة .

٢ ــ إن الأفكار مع وضوحها فهي دقيقة وعميقة اشتملت على أسس الحضارة والتفوق للأمة التي تعتنق الإسلام وتعمل بتشريعاته .

٣ – الأفكار هادفة تقيم مجتمعاً صالحاً ، وتسمو بالأمة التي تسعى إلى المجد ، وترد كيد الحاقدين وافتراء الأعداء .

٤ – إن المعاني مشفوعة بالأدلة العقلية كما في الأبيات الأربعة الأولى ومشفوعة بالأدلة الواقعية كما في الأبيات التي تليها مباشرة .

٥ – الترابط الوثيق بين المعاني والأفكار ، التي لا تخرج عن موضوع القصيدة ، وعلى هذا فقد تحققت بها الوحدة الموضوعية ، فكانت المعاني متآخية متآزرة تشد بعضها بعضاً، لتسير في اتجاه الغرض من القصيدة، وهي حضارة الإسلام والدفاع عنه .

إلا أنني آخذ على الشاعر التكرار في المعاني فأحدث ذلك اضطراباً في تماسك الوحدة الموضوعية ، ومزق وجهها، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

التكرار في البيت الثاني ، فكرر المعنى فيه وهو بيت واحد ، فقوله في عهدها المتقدم هو نفس قوله : فكيف تقدمت أوائله ، ولعل فقر الرصافي في القافية اضطره إلى التكرار في لفظ « المتقدم » .

وكذلك الأمر في البيت الثالث حيث بنى القافية من (جهل مسلم) وقد سبق المعنى في البيت بقوله : ذنب المسلم اليوم جهله .

وكرر المعنى في البيت الخامس فكان من الممكن الاستغناء بلفظ «أيقظ» في أول البيت عن لفظ « نوم » في قافيته ، ومرد ذلك إلى جفاف حقل القافية عند الشاعر .

وأعاد الشاعر في البيتين التاسع والعاشر المعنى الذي ورد في البيت الخامس وهذا يدل على ضعف التجربة الشعورية عند الشاعر .

وكذلك أعجاز الأبيات الأربعة من التاسع إلى الثاني عشر كلها تدور حول معنى واحد ، وهو بناء المجد وظهور الحضارة ، وهذا التكرار الواضح يدل على عدم التمكن من التجربة الشعرية وعدم التحكم في ترتيبها وتنسيقها .

ثانياً : خصائص التصوير الأدبي :

١ – خصائص الألفاظ والأساليب :

الألفاظ في القصيدة تدل على شخصية الشاعر الفنية واستقلاله في اختبارها ، فنرى من خصائص اللفظ فيها هي : السهولة ، والعذوبة ، والوضوح ، والقرب ، وغيرها من الخصائص التي تشبه الكلمات المنشورة في الصحف العامة على الناس ولا تحتاج إلى روية وتأمل في الفهم والإدراك فليست فخمة ولا ضخمة ، إلا قليلاً منها ورد في هذه القصيدة مثل : قوض أطناب ، وإسار ، ومجثم ، ومتن : وزعزع ، وعيلم ، والعارض المفهوم .

وتظهر السهولة والقرب في معظم ألفاظ القصيدة مثل : يقولون يصد ذويه – عن طريق التقدم – وإن كان ذا حق – في عهدها المتقدم . وهكذا حتى آخر القصيدة .

وكذلك الأمر في الأسلوب ، فجاءت القصيدة في تراكيب سهلة ونظم دان من النفس ، وعبارات مألوفة لا تحتاج إلى روية ولا تأمل ، بل تقف النفس على معانيها للمرة الأولى من القراءة ، حتى صارت هذه السهولة هي اللغة الشعرية الخاصة بشعره ، وسمة بارزة في أسلوبه مثل قوله في القصيدة :

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من ذنب مسلم
وهل العلم في الإسلام إلا فريضة وهل أمة سادت بغير التعلـــم

وقوله : أيقظ الإسلام بصائر أقوام وهكذا يسير الأسلوب على هذا النحو من السهولة والقرب والوضوح .

والقصيدة هذه تمثل استقلال الشاعر بشخصيته الفنية في الطور الثاني من أطوار حياته [1] حين نضجت شاعريته ، وأصبح مستقلاً في نظم الشعر غير خاضعة لتقليد القدماء ، وذلك بعد عودته من الأستانة عام ١٩٢٣ م [2] يقول في قصيدته : « ذكرى الخالصي » : [3]

لست بالشاعر الذي يرسل اللفـ ـظ جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفـظ إلاّ ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غايتي من الشعر معنى واضح يأمن اللبيب التباسه

أما الطور الأول فقد كان الرصافي فيه مقلداً للشعراء القدامى في الألفاظ والأساليب تميل إلى الجزالة والفخامة ، والإحكام في التعبير والرصانة في التركيب وبكاء الديار والوقوف على الأطلال . [4]

مآخذ على الأسلوب في القصيدة :

١ — التكرار في الألفاظ : فالتقدم ، وتقدمت ، والمقدم ، كلها بمعنى واحد في البيتين الأول والثاني ، ويتفق معها كلمة الأوائل أيضاً .

٢ — جاءت كلمة « نوم » في البيت الخامس حشواً ، لا تفيد معنى زائداً عما أفادته كلمة « أيقظ » فاليقظة إنما تكون من نوم،والشاعر ننمى الحشو عن نفسه حين وصف شعره في قوله :

---

(١) الأدب العربي الحديث ومذاهبه : الدكتور محمد خفاجي ، ١ /١٥٧ .
(٢) ذكرى الرصافي : الرشودي ، ص ٢٩ .
(٣) الديوان ، ص ٣١٢ .
(٤) مجلة الثقافة آذار ، ١٩٥٩ م في مقال بعنوان (الرصافي والابداع الفني) ، ابراهيم السامرائي .

طابقت لفظي بالمعنى فطابقـــه خلواً من الحشو مملؤاً من العبر

٣ — جاء بالكلمتان « طارت وحوم» حشواً أيضاً من غير فائدة زائدة في المعنى ، فقد أغنت عنهما كلمة « أطلق من قيودها » وذلك في البيت العاشر .

٤ — لم يوفق الشاعر كل التوفيق في قوله : ولا عربي بخسه فضل أعجمي ، ولعل الوزن والقافية اضطراه إلى ذلك. فهذه العبارة توهم إثبات الفضل للأعجمي ونفيه عن العربي ، الذي ارتقى إلى منزلة الأعجمي بشرف الإسلام ، فقد نفى النجس عن العربي ، ولم ينف الفضل عن الأعجمي بل أثبته له ، لأن النفي لم يتسلط عليه ، وإنما تسلط النفي على العربي لينفي النجس عنه فقط ، والقاعدة البلاغية في تسلط النفي في التعبير هي : إذا تسلط النفي في عبارة انصب على اللفظ القريب المباشر لا اللفظ البعيد ، مثل لفظ « ولا عربي » في بيت الرصافي ولم يتسلط هذا النفي على«فضل أعجمي» .

وكان الأولى في دفع هذا الإبهام أن يكرر الشاعر النفي مع اللفظين كما عبر النبي صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى .

وبصفة عامة في شعره يأخذ السامرائي على الشاعر مآخذ لغوية في شعره[1] وهذه وتلك لا تنزل من قدر الرصافي في مجال الأدب والشعر ، ولا تحط من منزلته بين الشعراء المعاصرين ، فلكل جواد كبوة ، ولكل فارس نبوة كما قالوا .

---

(١) مجلة الثقافة : آذار ١٩٥٩ من مقال السامرائي « الرصافي والابداع الفني » .

٢ – خصائص الخيال :

والخيال في هذه القصيدة دان قريب على عادة الشعراء القدامى في خيالهم وصورهم كالتشبيهات والاستعارات والكنايات، وهي مأخوذة من أشعارهم ، ليسلكها في قصائده على مثالهم يقول السامرائي :

« بأن المحافظة في لغة الرصافي تظهر في عرضه للصور القديمة كأن يقف على الأطلال ، أو يبكي الديار ، أو ينصرف إلى هموم يستعن عليها بالشعر »[1] .

ومن الصور الخيالية القديمة في هذه القصيدة هي :

لقد أيقظ الإسلام بصائر أقوام ، وحلت الأيام جباها ، فأشرق نور العلم ، ودك حصون الجاهلية ، وقوض أطناب الضلال المخيم ، وهكذا بقية الصور في الأبيات : التاسع والعاشر والحادي عشر ، والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ... إلخ القصيدة .

مآخذ في الخيال :

وآخذ على الرصافي هذه الصورة من صور الخيال في البيت الثالث عشر وهي : كزعزع ريح أو كتيار عيلم ، حيث شبه انتشار حضارة الإسلام في جميع بقاع الأرض بعواصف الرياح وطغيان أمواج البحر الهادر ،ولا تقارب في المعنى بين طرفي التشبيه حتى يصح وجه الشبه بينهما .

لأن انتشار الحضارة وشيوعها بناء واستقرار حياة هانئة،وعواصف الرياح وطغيان التيار الهادر في البحر ضياع وتدمير وفناء .

ولا تلاقي بين المعنيين على هذا التفسير ، بل شتان بينهما .

---

(١) مجلة الثقافة الجديدة : آذار ، ١٩٥٩ م ، ص ٢٦ .

٣ – عناصر التصوير الأدبي :

وأما عناصر التصوير الأدبي فقد اكتملت في هذه القصيدة . فحركة التقدم تبدو في فقرات القصيدة وأجزائها فترى الحركة في تقدم الأوائل ويقظة البصائر وإقامة الحياة ، وإطلاق الأذهان من قيودها ، وطيران الأفكار ، والتحضر والنهوض والسير ، وعواصف الرياح ، وأمواج البحر ، وسرعة رفع اليدين ، وهكذا إلى آخر القصيدة .

ونرى اللون في نور العلم ، وضوء الإسلام والبصائر ، ومنظر المبتسم والهدى ، وإشراق النور ، وترى النور في تباشير الحقائق التي لاحت إلخ القصيدة .

وترى شكل الحضارة في بنائها على العلم والحرية والمساواة والمؤاخاة والتسامح والعطف .

وترى حجمها في أنها تسود الدنيا ، وتملأ الإنسانية بنورها وفضلها .
وترى طعم التقدم ، ولذة العلم والمعرفة ، وحلاوة الحرية والعدالة .
وتشم رائحة التقوى وطيب التكرم والفضائل وريحان الحسنى والحلم .

وهكذا نجد أن عناصر التصوير تتلاءم تماماً مع الموضوع من القصيدة وهي روعة الحضارة ، وجلال مبادئها الإنسانية .

منزلة الشاعر عند النقاد :

لقب العراق الرصافي بشاعر العراق الأكبر [١] ولقبوه بشاعر العرب الأكبر [٢] .

---

(١) ذكرى الرصافي : البدري ، ص ٣٣ .
(٢) من كلام طه الراوي ، المرجع السابق ، ص ح .

قال منير القاضي رئيس المجمع العلمي بالعراق عن الرصافي :

مكانة شاعر العراق الأوحد في عصره ، بل شاعر العروبة الأوحد في وقته في الذروة ، فهو المجلى بين شعراء عصره ، ومكانته بينهم مكانة المتنبي من شعراء عصره . (١)

ولقد ملأ شعره الآفاق العربية ، وحملته إلى العالم الصحف والمجلات والدواوين فكان من الشعراء المشهورين في عصرنا، نشرت له القصائد في صحف تركيا ، وترجمت بعضها إلى التركية . (٢)

اتصل بكثير من الأدباء والشعراء والمفكرين مما جعله من الشعراء المجددين في الشعر الحديث ، وحامل لواء التجديد في الشعر على ضفاف دجلة ، وقريحته معروفة بالابتداع والابتكار .

يقول صلاح خالص : استطاع الرصافي أن يخطو خطوات واسعة في تجديد موضوعات القصيدة وأفكارها ، فقد وضع في هذه القوالب التقليدية تفكير الجيل الحديث ومثله العليا . (٣)

ويقول يوسف عز الدين : كان الرصافي شاعراً ثائراً مجدداً ... إنه كانشاعراً مصلحاً ثائراً على تقاليد المجتمع ، فشعره مزاج من فيض الشعور ومن ثقافة عميقة . (٤)

ويقول داود سلوم : لم يكن الرصافي شاعراً مجيداً فقط بل كان مفكراً اجتماعياً مجيداً . (٥)

---

(١) مجلة الوادي العراقية : عدد ١٤ / ٣ / ١٩٥٩ م .
(٢) مجلة العالم الإسلامي ، ص ٤١ ، اكتوبر ١٩١٦ م .
(٣) الرصافي والابداع الفني ، محمد شرارة .
(٤) ذكرى الرصافي : البدري ، ص ٤٩ .
(٥) تطور الفكرة في الأدب والأسلوب : داود سلوم ، ص ٩٢ .

ويقول رؤف الواعظ : إن مجال التجديد عند الرصافي لم يشمل إلا الأغراض والمعاني فحسب ، أما شكل القصيدة العام ، فقد كان حريصاً على أن يحافظ عليه [1] .

ولقد جدد الرصافي في محتوى القصيدة ، فأنشأ في الشعر القصة الشعرية كما في قصيدته « الفقر السقام » ويقول داود سلوم : إن القصة الشعرية من أهم أبواب الشعر عند الرصافي . [2]

وجدد في الشعر الفلسفي والعلمي مثل قصيدة « خواطر شاعر» ، وجدد في الشعر الاجتماعي والاختراعات الحديثة مثل قصائد « معترك الحياة » ، في مشهد الكائنات والعالم شعر وغيرها .

وجدد في الشعر الإنساني ، فعالج البؤس والشقاء، والرصافي من شعراء المدرسة المجددة على نمط الشعراء المحاضرين مثل شوقي وحافظ والكاظمي والزهاوي ، وغيرهم ، فالرصافي من مدرسة المحافظين لا من مدرسة الثائرين المجددين .

---

(١) الرصافي : بدوي طبانة .

(٢) تطور الفكرة والأسلوب في الأدب ، ص ٩٣ .

اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها

لشاعر النيل « حافظ إبراهيم »

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمـان فـإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغـات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننـا ... فيا ليتكـم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حيـاتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم ... بما تحته من عثرة وشتـات
سقى الله في بطن الجزيرة أعظمـا ... يعز عليها أن تلين قتـاتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسـرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخـرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنيني بغير أنـاة
وأسمع للكتاب في مصر ضجة ... فأعلم أن الصائحين نعـاتي

أيهجرني قومي عفى الله عنهم ... إلى لغة لم تتصل بـــرواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفـــات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل ... بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البـــلى ... وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعـــده ... ممات لعمري لم يقس بممات [1]

ترجمة تاريخية عن الشاعر حافظ إبراهيم :

في ديروط إحدى المراكز التابعة لمحافظة أسيوط بمصر، ولد حافظ إبراهيم في ٤ من فبراير عام ١٨٧٢ م — ١٢٨٨هـ من أب كان يعمل مهندساً، ولم يطل عمره حتى وافته المنية تاركاً ابنه يناهز العامين من ولادته ، ثم رحلت أمه بحافظ إلى طنطا، فاتصل بطلاب معهد طنطا الديني الذين عشقوا الأدب، فتدارس معهم الشعر والأدب وحفظ الكثير من التراث الأدبي لشعر الفحول .

ثم التحق بالمدرسة الحربية حيث تخرج ضابطاً منها ليعمل في الجيش ويسافر مع الجيش المصري إلى السودان ، يجاهد في سبيل الوطن العربي والإسلام للدفاع عن السودان .

ثم عاد إلى مصر، ولكنه لم يمكث طويلاً بعد عودته حتى آحيل إلى المعاش، ليتمكن من العمل الذي يتفق مع ميوله الأدبية، حيث عمل محرراً في جريدة « الأهرام ». التي يسرت له نشر قصائده الشعرية ونثره الأدبي فعم ذكره وزاد صيته ، واتسع جمهوره ، فكان ذلك دافعاً قوياً لنظم الشعر ، وعاملاً من عوامل نبوغه وتهذيبه لفنه الأدبي ، واستحق لهذا التفوق لقب (شاعر النيل) وهو يعمل في حقل الصحافة والأدب، وكان لهما شأن كبير في عصره حيث خرجت أعلاماً في الفكر والعلم والأدب .

---

(١) ديوان حافظ ابراهيم : ضبطه وصححه احمد امين وآخرون ١ر٢٥٣ : ٢٥٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م

ولذلك كان حافظ يلتقي بكبار الشعراء والأدباء والنقاد والمفكرين في عصره ويغشى مجالسهم ، منهم الشيخ محمد عبده، ومصطفى كامل، وسعد زغلول ، وعبد العزيز البشري ، وخليل مطران ، وعبد الوهاب النجار ، وأحمد شوقي ، وعباس محمود العقاد ، وإبراهيم المازني ، وعبد الرحمن شكري وغيرهم .

قال المازني : كنا نلتقي بحافظ من حين إلى حين في مقهى أمام دار الكتب ونتحدث في المذهب الجديد في الشعر، وأن الأدب فرع من شجر الحياة ، وأن التقليله يفسده، وأن الأديب يجب أن ينظر بعينيه، ويفكر بعلقه ويحس بقلبه، وأن يكون — قبل كل شيء ... وفوق كل شيء — مخلصاً إلى آخر هذا فيوافقنا حافظ .

ويقول أيضاً ولم يكن لحافظ من الثقافة المدرسية ... حظ كبير ، لأنه كما عرفت تعلم في المدارس الابتدائية ... ثم في المدرسة الحربية... أو المدارس الثانوية ... فلم تطل بها إقامته ، على أن المناهج وقتئذ لم تكن مهذبة كفيلة بتخريج الرجل المثقف ، غير أنه كان يغشى مجالس العلماء والأدباء والشعراء .

واتخذ حافظ محمود سامي البارودي رائداً له في الشعر وقدوة يقتدي به في ديباجة الشعر وروعة الأسلوب وفخامة اللفظ ، لكن حافظاً يتميز عنه بأنه كان ملماً باللغة الفرنسية ، التي مكنته من الإطلاع على الأدب الفرنسي ومعرفة فنونه ، ومن آثار ذلك كتاب (البؤساء) الذي ترجمه إلى العربية للكاتب الفرنسي فيكتور هوجو، هذا بالإضافة إلى ديوانه في الشعر العربي المعروف باسمه .

واختتم حياته بالعمل في دار الكتب المصرية رئيساً للقسم الأدبي فيها (عام ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م) وظل يعمل بها إحدى وعشرين سنة تقريباً ،

حتى وافته المنية (عام ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م) رحمه الله تعالى وجزاه عن العربية والإسلام خير الجزاء .

عوامل شاعريته :

١ – نشأ حافظ يتيماً يائساً ، تركه أبوه وهو في سن الثانية من عمره فأحس بالبؤس والحرمان ، مما فجر شاعريته ... فصور البؤس في أقسى مظاهره ، ودعا إلى العطف على البائسين والبر بهم ، ونظم القصائد في ذلك مثل : ... إغاثة المكفوفين ... والدعوة إلى البر والإحسان ... وفي رعاية الطفل ... وفي الجمعية الخيرية الإسلامية– وسواها في تصوير البؤساء والعطف عليهم .

٢ – كان حافظ من طبقة الشعب الذي ذاق حلو الحياة ومرها على العكس من الشاعر أحمد شوقي الذي كان ربيب الخديوي ومترف القصر يتقلب في النعيم ، ولذلك لقب حافظ بشاعر الوطنية وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة وشاعر المجتمع ، وكان يلوم المصريين على تخاذلهم أمام العدو الجاثم على صدر الوطن العربي .

بل شمل شعره الإسلامي الشرق كله وذلك في قصائد: سورية ومصرية وسودانية الخ وقصيدة نهضة الخلافة الإسلامية ... وقصيدة وحدة الشرق وتعاونه [١] .

٣ – ويرجع اصطباغ شعره بالدفاع عن الأمة والوطن إلى نشأته العسكرية فقد كان جندياً في الجيش يدافع عن الشعب بالسلاح وبالقلم والشعر جميعاً ... ولذلك غلب على شعره الدفاع عن قضايا الأمة الاجتماعية والسياسيةوالقومية، فظهرت على يديه أغراض لبست ثوباً جديداً، وأغراض مستحدثة مثل الشعر السياسي ، والشعر الاجتماعي والشعر الوطني .

٤ – كان لثقافته الفرنسية أثر في تكوين فكره وثقافته ، وإن لم تظهر

---

(١) الديوان حـ ١ ص ٥ ، ٦ ، ١٧ ، ٢٥، ٥٣، ٦٦، ٨٩، ٩٧ وغيرها .

في المضمون ولا في الشكل ظهوراً مباشراً كما في شعر زميله الشاعر أحمد شوقي أمير الشعراء .

٥ – عكوفه على التراث الأدبي القديم ، فحفظ الكثير من أشعاره ثم جارى الفحول من الشعراء القدامى في الألفاظ والأساليب والصياغة والنسج ، مثل بشار وأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري وسواهم .

٦ – كان حافظ معجباً بالبارودي وإسماعيل صبري ، وذكر فضل البارودي عليه وعلى الأدب الحديث ، فاختار الجندية كما اختار البارودي وآثر الجزالة والفحولة كما آثرها ، وثار على الحكم كما تمرد البارودي قبله .

٧ – اشتغاله بالتحرير في صحيفة الأهرام التي يسرت له ذيوع شعره ونشره فشجعه ذلك على تهذيب شعره والتكثر منه .

٨ – إشرافه على القسم الأدبي في دار الكتب المصرية ، الذي مكنه من التخصص في الشعر والأدب ، ومن التفرغ لفنه الأدبي ، ومن الإتصال بالأدباء والشعراء والمفكرين .

شرح المفردات :

حصاني : أحصاه عده وحفظه وعقله ... والحصاة العقل والرأي .

فاحتسبت حياتي : جعلت حياتي فداء ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

رموني : أصابوني .

بعقم : العقيم التي لا تولد فقد يبس الرحم فيها أو جف ولغة عقيمة يابسة جافة لا حياة فيها ولا روح .

عقمت : انتهت واندثرت ، فتصير ميته حتى لا تتعذب بطعنات اعداء اللغة العربية .

عرائس : جميلات فاتنات والمراد فصاحة اللغة وبلاغتها وسحرها .

وأدت : دفنتها حية فاللغة حية لن تموت وإنما يجني عليها الأحياء بدفنها حية .

وسعت كتاب الله : اتسعت له فأصبحت بكتاب الله تعالى معجزة خالدة .

لفظاً : بلاغة .

غاية : تشريعاً وأخلاقاً .

أضيق : لا أتسع والمراد أجمد فلا أنقاد لمستحدثات الآلات الحديثة والمخترعات .

أحشائه : ما احتواه الجوف والمراد الأعماق وما هو وراء الظاهر .

الدر : الثمين الخالي والمراد البليغ من اللغة .

الغواص : السباح الذي يغوص في الماء والمراد العالم الخبير باللغة .

صدفاتي : معادن ثمينة والمراد السحر من بليغ القول .

ويحكم : كلمة رحمة واسترحام والمراد أنقذوني من الهلاك رحمةبي.

أبلى وابتلى : أفنى وتفنى حيويتي وفصاحتي .

عز الدواء : قل الدواء فلا يكاد يوجد من يحمي اللغة من الضياع .

أساة : جمع أسى : وهو الطبيب والمراد من يدافع عن اللغة ويطوعها للعصر .

تكلوني : تتركوني وتهملوني .

أيطربكم : أيعجبكم فتسمعوا لقوله وتستجيبوا له .

ناعب : نعيب الغراب : وهو صوت مخيف ونذير شر .

تزجرون الطير : من الزجر وهو التكهن والعيافة — يقال زجر الطير إذا زجره فتفاءل به أو تشاءم ، والمراد هنا التشاؤم من دعوة الغرب لهدم اللغة .

سقى الله : دعاء بالسقيا للذين حافظوا على اللغة .

أعظما : رفات الآباء والأجداد الذين صانوا لغتهم .

تلين قناتي : تضعف الرمح والمراد ضعف اللغة واضطرابها .

ودادي : تعاطفي وتعاوني معهم فتعاونا معاً في حفظ التراث .

البلى : العصر القديم .

الحسرات : الألم والحسرة .

مطرقاً حياء : ملياً حياء من المجد الشامخ الذي بناه لي القدماء العظماء .

النخرات : عظام نخرة : بالية .

مزلقاً : مهوى أتسقط من فوقه فتهلك وتموت .

تدنيني : تقربني من الموت .

بغير أناة : الأناة : البطء والمراد بغير أناة أي بسرعة .

لم تتصل برواة : مقطوعة الصلة بالتراث القديم : والمراد : لغة لا تتصل بالأصالة العربية العريقة .

لوثه : الخلط والضعف والحمق والمراد خلط اللسان وضعفه عن الإفصاح .

مسيل فرات : موطن الماء العذب .

ثوب مرقع : مهلهل .

شكاتي : الشكوى والاستغاثة .

الرموس : القبور .

الرفات : الجسد بلا روح .

شرح الأبيات :

البيت الأول: جرد الشاعر من اللغة العربية نفساً تتحدث عن شخصها وتنعي حظها وترثي حالها .

تقول : حينما نخرت العامية في أعصابي ، وفسدت الألسنة بأخلاط اللغات الغربية ، وتبدلت الفصاحة المشرقة بالعي الداكن ، فتشت عن الأسباب في نفسي ، فاتهمت عقلي بالتقصير والسقوط ، وهنا تستغيث بالأمة وتقول : وكيف أكون كذلك ، وقد جعلت حياتي لخدمة الأمة ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

من ٢ – ٦ : إنهم رموني ظلماً بالجمود والتحجر ، مع أنني دائماً أزهو بين اللغات بالفصاحة والبلاغة والمرونة ، ويا ليتني لغة ميتة جامدة لكي لا أحزن من شماتة الأعداء التي تلاحقني في كل عصر ، وعلى الرغم من ذلك فإنني مع كل يوم يظهر سحر من سحري وسر من أسراري ، يحتاج إلى رجال يحفظونه ، وأكفاء ينزلونه قدره ، ولما لم أجد واحداً من ذلك انطفأ بريق سحري ، واختفت أسراري الجميلة فيهم ، لتظل باقية حية في كتاب الله عز وجل ، الذي اتسع لألفاظ من بحري الغزير فسلكها في أسلوب معجز ، يحمل بين طياته أهدافاً سامية وغاية نبيلة ، ونسقها في نظم بديع ، يضم في حواشيه نشريعاً محكماً ، وأخلاقاً فاضلة ، ولم تجف ينابيعي الثرة مع الذي خلقني سبحانه وتعالى .

فكيف اليوم أضيق بصنع المخلوقين ، الذين عجزوا عن تطويع كلماتي

لمخترعاتهم وآلاتهم ، ولو فتشوا عن العلماء والبلغاء ، وبحثوا في التراث القديم ، لوجدوا في أعماقه ما يحتاجه العصر من مصطلحات وأساليب وصور تتناسب مع كل جديد طارىء وحديث مبتكر .

من ٧ — ١٠ : وتستغيث اللغة العربية بقومها ، وتسترحم الناطقين بالضاد وتستجلب عطفهم ، لأنها أخذت تذوي بينهم شيئاً فشيئا ، حتى فنيت محاسنها ... وذهب بريق سحرها ، ومهما أدلهم الخطب فلن يكون ذلك ، لأنها تعيش بين حماتها وحملة لوائها ، والمدافعون عن الدين التي أفصحت عنه بألفاظها ، وإلا عبث الزمان بها. وتصرف فيها بحوادثه ، وحينئذ تموت ، وتتجمد الألسنة ويذهب أصحابها ، ويندثر تراثهم ، لتقوم على أنقاضه لغة الغرب ، وتسيطر بها على الشعوب ، الذين دفنوا لغتهم بأيديهم وحينئذ يكون لرجالها عزاً ومنعة ، وكيف لا وعزة الأمم في لغتها وتراثها .

لقد حقق الغرب بلغتهم وتراثهم المعجزات ، بينما عجزت الأمة العربية في هذا العصر عن مواكبتها في النهضة ، بل عجزت عن مجاراتها بلغتها العربية الفصيحة .

من ١١ — ١٢ : لقد خدعكم الغرب بالعسل المسموم ، حين أضفى على لغته السحر والحيوية والمعاصرة ، لكي يدفن لغتكم الحية ، ويغير وجهها المشرق بالتراب ، إنها صيحة تنذر بالشر ، وتهدد بالدمار ، وإن لم تصدقوا فاجزوا الطير ، فإنه مع عجمته ، سيفصح لكم عن سم الأفاعي الذي ينخر في أعصاب الأمة ، ويشتت شملها ، ويقضي على لغتها ، فتذل وتنهار ، بينما أهل الغرب يعتزون بلغتهم ويحيون بتراثهم .

من ١٣ — ١٥ : أين أنتم اليوم من آبائكم وأجدادكم بالأمس ، أظلّهم الله بسحائب رحمته ، وفجر عليهم بطن الأرض برضوانه ، فقد جاهدوا خلط اللسان ، وضعف التعبير ، فحفظوا لغة تراثهم ، وبلاغة

لسانهم عشقاً وحباً ، ولذلك حفظتهم اللغة ، وحفظت لهم جهودهم وكفاحهم وهي تتمنى اليوم في حسرة وألم أن يبعثوا مرة ثانية ، ليعيدوا إليها مجدها القديم ، وعزها التليد .

وبهؤلاء الحماة تفاخر اليوم الغرب والشرق ، وهم تحت التراب وننحني لهم إجلالاً وتقديراً ، وهم عظام نخرات .

من ١٦ — ١٧ : تستيقظ اللغة العربية مفجوعة كل صباح ، لتلك الأخطاء الفادحة في الصحف والمجلات ، فتهوي بسرعة إلى الفناء والدمار ولا تسمع من النقاد والكتاب إلا ضجة جوفاء ، تودعها في حزن وأسى إلى مقرها الأخير .

من ١٨ — ٢٠ : عفا الله عن العرب الذين هجروا لغتهم إلى لغات أخرى تتنافى مع أذواقهم العربية ، وتتجافى مع أصالتهم العريقة ، وتصطدم مع فطرتهم السليمة ، لأنها سرت فيها لكنة العجم ، وأخلاط الغرب وذهبت ببريقها ، وأفسدت بلاغتها ، كما أذهب سم الأفاعي عذوبتها فكان غصة في الحلق .

أصبحت لغة العرب التي اختلطت بغيرها مهلهلة ضعيفة كالثوب المخروق المرقع ، الذي ضم أشتات الرقع من هنا وهناك ، لتذهب بنسجه المتلاحم ، وتبدد تنسيقه المتجانس .

من ٢١ — ٢٣ : ثم تضرع اللغة العربية إلى الله تعالى وتستغيث به ، بعد أن ضجت بالشكوى ونعت حظها ، وهي تناجي الكتاب ، وترجو النقاد أن يحفظوا بهائها ، وأن يصونوا جمالها ، ليبعثوا فيها الحياة بعد أن فنيت ، ويبثوا الروح في رفاتها بعد أن بليت ، فإن حياة الأمة في حياتها وعز القوم ومجدهم في عزها ومجدها ، وإلا لماتت ، والويل لهم ، فإنهم سيذلوا

إذا ماتت ، ولن تقوم لهم قائمة ، لأن موتها مرير يفنى به عز القوم وتراثهم المجيد ، ولن تموت اللغة العربية أبداً لأن الله خلدها بالقرآن الكريم :

قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذّكر وإنا له لحافظون » ...

الغرض من القصيدة :

تناولت هذه القصيدة غرضاً شعرياً من أغراض الشعر العربي القديم وهو الرثاء ، ولا شك أن هذا الغرض قديم قدم الشعر ، حين وقف بجوار الأغراض الأخرى من المدح والفخر والحماسة والغزل وغيرها ، ولكنه مر بأطوار مختلفة يلبس في كل طور زياً يختلف عن سابقه .

فقد كان الرثاء قبل البحتري ، يضم مفاخر الميت ومآثره وأمجاده في حياته بأفعال ماضية وما شاكلها ، تدل على أن صاحبها قد ذهب بالأمس وانطوت صفحات حياته ، فالرثاء على هذا المنهج مدح شخصي لفرد معين ذهب وانتهى أمره .

أما أبو عباده البحتري فقد ألبس الرثاء ثوباً جديداً حين نقله من المدح لأفراد ماتوا والثناء على أشخاص ذهبوا ، إلى تمجيد تراث لأمة ذهبت وحضارة ولّى أصحابها ، وما زالت آثارها باقية على صفحات الزمن ، وبين طيات التاريخ ، بعد أن تخلص في القصيدة من المطالع والمقدمات التي تصدرت المرثية القديمة ، وظهرت هذه اللمسات الجديدة في سينية البحتري التي رثى بها حضارة الفرس الذاهبة ، وعارضها الشاعر أحمد شوقي بسينية أخرى في حضارة العرب بالأندلس .

وأما قصيدة حافظ إبراهيم التي معنا فقد نهج فيها الشاعر منهج البحتري في رثائه للحضارات ، فقد رثى حافظ اللغة العربية التي تموت بين حماتها وينزف لسان القوم دماً وهم يفزعون لهولها .

لكن رثاءه مع هذا التوافق والإنسجام يختلف مع رثاء البحتري ، ويأخذ مأخذاً جديداً من زوايا أخرى تلبسه نوعاً من الجدة وهو أن حافظاً تحدث عن حضارة اللغة العربية وهي باقية ، وما زال حماتها باقون وسيزالون وإن أصابهم ضعف أو وهن في عصر ، فسيعودون إلى مجدهم في بقية العصور لأن حضارة اللغة والإسلام ستظل باقية إلى قيام الساعة ، لأنها تقوم على تشريع من قبل الله عز وجل ، وهذا هو سر الخلود ، أما حضارة الفرس فقد ولت وذهبت ، لأنها لم تقم على أسس سليمة من العقائد الصحيحة ، وهذا سر فنائها فلم يبق منها إلا آثار باقية مصورة على جدران إيوان كسرى .

كما أن حافظاً جرد من اللغة العربية إنساناً يتحدث عن نفسه ويدافع عن شخصه ، ويذود عن حماه ، ليقاوم أعداء اللغة في الشرق وفي الغرب بينما كان صنيع البحتري مختلفاً عن ذلك فتحدث الشاعر بنفسه عن حضارة الفرس ، وبهذا قد لبس الرثاء عند حافظ ثوباً جديداً .

مدرسة حافظ إبراهيم الفنية :

أدت حركة البعث الشعري في العصر الحديث إلى نشأة مدارس فنية كثيرة ، تختلف في اتجاهاتها وخصائصها وأهدافها ، وتميزت مدرستان كبيرتان ، وهما :

أولاً : مدرسة المحافظين :

وهم الذين حافظوا على الجزالة العربية ، والرصانة في التعبير وإحكام النسج ، وفحولة الألفاظ ، ومعاودة الأغراض الشعرية القديمة ، والخيال التقليدي بصوره الجزئية المألوفة في أزهى عصور الأدب القديمة ، وتقصد من ذلك أن تعود بالشعر بعد الضعف الذي أصابه إلى رقة البحتري ومهيار الديلمي وفحولة أبي تمام والمتنبي .

وهذه المدرسة أخذت اتجاهين متمايزين :

أ – الكلاسيكية (الإتباعية) القديمة :

وعكف الشعراء فيها على التراث الأدبي والنقدي القديم في أزهى عصور الشعر العربي ، فقلدوا بشاراً ، وأبا نواس ، وأبا تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي ، والمتنبي ، ومهيار ، وأبا العلاء المعري ، والشريف الرضى وسواهم ، وذلك في الأغراض والموضوعات والأساليب والصور والخيالات.

ومن أشهر الشعراء في هذا الإتجاه من العراق عبد الغفار .. الأخرس (١٢٢٠ – ١٢٩١ هـ) ، ومحمد سعيد الحبوبي النجفي (١٢٦٦ – ١٣٢٣هـ) وحيدر الحلي (١٢٤٦ – ١٣٢٣ هـ) .

ومن المملكة العربيـــة السعودية البيتي (١١١٠ – ١١٨٢ هـ) ، وجميل حسن مقادمي (١٣٢٢ – ١٣٤٨ هـ) ، وحامد دمنهوري (١٣٤٠ هـ) . وحامد كعكي (١٣٢٣ – ١٣٧٩ هـ) وسواهم .

وفي مصر الساعاتي والغاياتي والبارودي ومحمد عبد المطلب والرافعي وعلي الجارم وإسماعيل صبري وسواهم .

ب – الكلاسيكية الجديدة :

وهي التي حافظت على الألفاظ والأساليب والديباجة الشعرية والوزن والقافية على النحو القديم ، ولكنها جددت في الموضوعات والأغراض ، والفن الشعري كالشعر القصصي والمسرحي ، ثم تصرفوا في معاني العصر وأخيلته الجديدة وصوره المبتكرة .

وذلك مثل الزهاوي والرصافي والصافي النجفي ، ومحمد رضا الشبيبي من العراق .

ومثل أحمد إبراهيم الغزاوي ، وعبد الوهاب آشيء ، وحسن الصيرفي وحسن عبدالله القرشي من المملكة العربية السعودية .

ومثل حافظ وشوقي ومحرم من مصر .

ثانياً : مدرسة المجددين :

وهم الذين ثاروا على منهج القصيدة التقليدية ، فجددوا في المنهج والمضمون والشكل ، والقيم الفنية الجديدة .

وفي مقدمة هؤلاء جبران خليل جبران والريحاني وأبو ماضي من المهجر وخليل مطران وعمر أبو ريشة وسواهما من الشام .

وحسين سرحان ، ومحمد حسن عواد ، ومحمد عمر عرب ، وابراهيم فلالي ، وأحمد جمال ، وعزيز ضياء وسواهم من السعودية .

والعقاد والمازني وشكري وأبو شادي وابراهيم ناجي وعلي محمود طه وسواهم من مصر .

« الخصائص الفنية في القصيدة »

أولاً : التصوير الأدبي :

– الألفاظ والأساليب :

سار حافظ إبراهيم على نهج البارودي في أسلوب القصيدة واختيار ألفاظها بعد أن استظهر كثيراً من الشعر العربي القديم ، وتأثر بما حفظه من الشعر الرصين .

فكانت ألفاظ شعره تتسم بالجزالة والفحولة والقوة مع العذوبة والرشاقة والمواءمة بين اللفظ والمعنى ، ثم فصاحة الكلمة وسلامة إعرابها واشتقاقها اللغوي ، وقربها من العقل والذوق معاً ، ولو استعرضت ألفاظ القصيدة لوجدتها كذلك في الغالب مثل اتهمت – حصائي – احتسبت ، رموني –

بعقم — أجزع — عداتي — عرائس — وأدت، وهكذا في كل بيت حتى آخر القصيدة .

وإن كان حافظ قد تردى في بعض الأخطاء التي كان ينبغي أن يترفع عنها، وهو من أشعر شعراء العصر الحديث، منها كلمة(الجرائد) فإنها تتنافى مع غرضه من القصيدة وهو الحفاظ على الفصحى، فليست كلمة عربية بل غريبة عليها دخيلة تشوه وجه الفصحى والقصيدة معاً ، وكان من الممكن أن يأتي بمثل معناها في اللغة وهي كلمة صحيفة ، وكذلك كلمة (الإفرنج) فهي كلمة غريبة عن لغة العرب الفصحى، وخاصة في هذا المقام ولها بديل في لغتنا الغنية مثل كلمة الغرب ، أو ... الأجنبي ، أو أعداء العرب إلخ وكذلك كلمة المعجزات ، التي هي من صنع البشر فهذه مبالغة ، فليس ما حققه من نظريات بمعجزة ، إن النظريات تقوم بعضها على بعض يهدم الجديد منها ما سبق من أخواتها ، والمخترعات متغيرة من حال إلى حال، وليست بمعجزة ، لأن المعجزة خالدة لا تتغير ولا تتبدل .

وأما الأسلوب فيأتي تبعاً للكلمات فترى في قصيدته أسلوباً محكماً وعبارات رشيقة ، ونظماً رائقة ، وتراكيب رصينة وصدقاً في الفطرة ، وسلامة في التعبير ، وصحة في الإعراب وذلك في مثل قوله ،،، فاتهمت حصاتي ، واحتسبت حياتي ، رموني بعقم في الشباب، ولما لم أجد لعرائس — وأدت بناتي — أنا البحر في أحشائه الدر كامن ، وهكذا في كل بيت .. غالباً ...

ولكني آخذ عليه بعض هنات في أسلوب القصيدة أيضاً منها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ، والصحيح أن كتاب الله هو الذي اتسع لها ، حتى أخذت بسببه منزلة عالية وشريفة ، فلولا كتاب الله المعجز لما خلدت هذه اللغة بالصورة التي هي عليها ، كما أن اللغة إن اتسعت للقرآن

لفظاً فلا تتسع له غاية وتشريعاً ، لأن التشريع والأخلاق في القرآن الكريم ليس من طبيعة اللغة وإنما التشريع هو الذي أكسب اللغة جدة وحيوية ومرونة في الاستعمال والتطويع للمعاني والأغراض الجديدة .

وكذلك قوله : وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرقاً حياء ، فإن الفخر يقتضي أن يكون الإنسان مرفوع الرأس لا مطرقاً ، شامخ الهامة لا منكساً ، فلا مكان للإطراق والحياء هذا بل عزة وترفع وإباء وشموخ وتطاول إلى عنان السماء بمفاخرنا وأمجادنا ، الذين حفظوا لنا تراثنا المجيد ولغتنا العزيزة الخالدة . اللهم إن كان الشاعر قد رفع الشرق على الاستئناف[1] ومطرق خبر له (والشرق مطرقٌ) ويكون المعنى جائزاً والتقدير : أن اللغة فاخرت أهل الغرب ، أما الشرق فهو مطرق خجلاً من تقصيره نحوها وتهوينه من شأنها ، وإن كان هذا المعنى بعيداً لأن مفاخرة اللغة لا تقتصر على الغرب دون الشرق، بل ينبغي أن يكون الفخر أمام الغرب .. والشرق على السواء .

الصور الأدبية :

حلق الشاعر بخياله مع القدماء في خيالهم، فقد استمد صوره الجزئية من الخيال العربي القديم والأصيل، فترى التشبيهات القديمة في قوله : أنا البحر ، وسرت لوثة الإفرنج كما سرى لعاب الأفاعي في مياه فرات ، وجاءت كثوب ضم سبعين رقعة .

والاستعارات القديمة مثل قوله: فاتهمت حصاتي — رموني بعقم، ولم أجد لعرائس ، وأدت بناتي ، في أحشائه الدر كامن ، عن صدفاتي ، ينادي بوأدي — في ربيع حياتي ، سقى الله أعظما ، تلين قناتي ،،، وهي صور حزينة قاتمة تتناسب مع غرض الرثاء كما ترى .

---

(١) حيث جاءت مطرق مرفوعة في نسخة احمد امين ومن معه ج ١ ص ٢٥٤ .

ولا تجد في الخيال جديداً إلا في جانب واحد فقط، وهو التشخيص الذي أعطى للقصيدة جدة وابتكاراً، حيث جرد من اللغة إنساناً يتحدث عن نفسه، وينعي حظه، ويرثي أحواله في مرارة وأسى، ويظهر ذلك في مطلع القصيدة : —

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونـاديت قومي فاحتسبت حيـاتي

فقد رجعت اللغة تبحث عن أسباب ضعفها ، فاتهمت عقلها، واستغاثت بقومها ، واحتسبت أجرها عند الله تعالى .

ثم ولدت عرائس اللغة، ووأدت بناتها ، ووسعت كتاب الله، وحفظت للقدماء الوداد لهم بقلب دائم الحسرات وفاخرت الغرب والشرق في حياء ورأت الأخطاء في الصحف كل يوم ، وسمعت ضجة الكتاب وصيحاتهم وأخيراً بسطت إليهم كف الرجاء والأمل في أن يحافظوا عليها، ويصونوا تراثها .

التصوير الموسيقي :

اختار الشاعر بحراً طويلاً ممتداً يتناسب مع معاني الرثاء، التي تحتاج إلى طول نفس واسترخاء في التعبير ، ودل على هذا الإسترخاء كثرة حروف اللين التي شاعت بين ألفاظ القصيدة مثل نفسي — حصاتي — قومي — حياتي رموني — وليتني — عداني — عرائسي — بناتي — كتاب الله — وغاية ، آي وعظات ... وهكذا فلا يخلو بيت من ثلاثة حروف على الأقل ، وهذا يؤكد لك مدى الحزن العميق الذي يشتمل على الآهات والأنات ، وإذا أضفت إلى هذا امتداد القافية، حيث طال النفس فيها، فاشتملت لوحدها على حرفي لين، لتوضح لك مدى الأسى والحزن العميق مثل: حياتي .. وأنك لتجد في المطلع من التقسيم الموسيقي ما يهز المشاعر، ويحرك الوجدان، ويفتح

مغالق النفس، لتستقبل معاني القصيدة وهي متلهفة، حتى تأتي على آخرها ولذلك كان حافظاً يتميز بحسن المطالع، فاستهوى بذلك جمهوره وقراءه وكثيراً ما كانوا يسمعون منه الشعر في ندواته ومحاضراته، انظر إلى هذا التقسيم في المطلع في قوله :

رجعت لنفسي ... فاتهمت حصاتي ... يقابلها على نفس النسق والتقسيم الصوتي :

وناديت قومي ..... واحتسبت حياتي

عناصر التصوير الأدبي :

تلاءمت عناصر التصوير الأدبي مع معاني الرثاء في القصيدة، فترى الحركة بطيئة حزينة متثاقلة الخطى كالشأن فيمن يودعون الميت إلى مقره الأخير، وكثرة حروف اللين، والشدات، والتنوين وهو نون زائدة يصور لك مدى البطء في الحركة والتثاقل فيها، وذلك في طول النفس لحرف اللين والتوقف في الشدات. والتأخر عن العجلة بسبب النون الزائدة في التنوين.

وترى اللون القاتم الحزين في القصيدة. وذلك في قسوة الاتهام والعقم والجزع والوأد والضيق – والبلى والأسى والوفاة ولعاب الأفاعي وهكذا .

وترى القتام في الأحشاء، وكامن، والغواص، والدواء، وناعب، والزجر والعثرة وبطن الجزيرة والحسرات والحياء والإطراق والثوب المرقع وشكل الألوان والشكوى وهكذا .

وتشعر بالطعم القاتل في مرارة السم والبلى والرفات والموت وتشم رائحة العرس والدواء والرموس .

وهكذا تجد عناصر الصورة الأدبية أعطت للتصوير الأدبي طراوة

وحيوية تحرك العاطفة وتأخذ بمجامع القلب، وتلاءمت مع الألفاظ والمعاني والصور والأخيلة مما يحقق في القصيدة الوحدة الفنية .

المعاني في القصيدة :

وأما المعاني في القصيدة فتراها واضحة قوية تتسابق إلى الذهن من غير كد أو طول تأمل ، ذلك لوضوح الفكرة عند الشاعر، وقد استمد معانيه من حقل الشعر القديم . فاتهام الحصاة ، ووأد البنات ، وسم الأفاعي في مسيل الفرات وسواها من المعاني تسير على النهج القديم .

لكن الجدير بالذكر أن القصيدة قد دارت معانيها من أول بيت فيها حتى آخر بيت حول الموضوع من القصيدة في تلاحم وترابط .

ولو نظرت إلى شرح معاني الأبيات السابقة لوجدت أن المعاني فيها واضحة ومتلاحمة ، تسير في اتجاه واحد حتى آخر القصيدة ، ثم يكون الحكم في النهاية على الفكرة السابقة حيث يقول : ..

فإما حياة تبعث الميت في البـــلى وتنبت في تلك الرموس رفـــاتي
وإما ممـــات لا قيامـــة بعـــده ممات لعمري لم يقس بممـــات

وعلى هذا فقد تحققت في القصيدة الوحدة الموضوعية لا العضوية ، لأنك لو قدمت بعض الأبيات على بعض، أو أخرتها لما حدث خلل في موضوع القصيدة فهي قائمة على استقلال الأبيات بعضها عن بعض .

فمن الممكن أن تقدم مجموعة الأبيات من ١٣ — ١٥ على مجموعة الأبيات من ١١ — ١٢ ولا يؤثر كثيراً في ترتيب المعنى ، بل الأفضل أن يكون كذلك من حيث الترتيب الواقعي للمعاني، وتدرج بعضها على بعض .

منزلة حافظ بين النقاد والشعراء :

كاد أن يجمع النقاد على أن حافظاً أحد رواد مدرسة المحافظين لا المجددين، ولكنه إنصافاً للحق والتاريخ أن حافظاً لم يكن مجدداً في الأسلوب ولا في الخيال والصور، ولا في المعاني والأفكار فكان هو والبارودي يسيران على نهج القدماء من فحول الشعراء .

ولكن حافظاً كان مجدداً في بعض الأغراض الشعرية الجديدة ، فنشأت على يديه أغراض جديدة تنسب إليه، مثل الشعر الاجتماعي والشعر الوطني ثم ألبس الشعر السياسي لباساً جديداً يتفق مع قضايا عصره واتجاهاتها السياسية ولذلك أطلق عليه نقاد عصره لقب (شاعر النيل) بمعنى أنه شاعر شعب مصر فوصف آلام الدهماء وصور وطنية الأمة وموقفها من الإستعمار ، وسجل تاريخ زعمائها الوطنيين ، وفاجعة دنشواي وأزمات السياسة والمال .

ووازن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بينه وبين شوقي فقال : كان حافظ في الغالب شاعراً عاطفياً معبراً عن أمته ، في حين كان شوقي في الراجح شاعر الذكاء المحض وصفاً وتاريخاً وتصويراً وسرداً ، والشعر عند شوقي رياضة ذهنية في حين أنه عند حافظ كان منبراً يصيح من فوقه بأمته .

ويقول خليل مطران في حافظ وشاعريته : كان حافظ يطرق الموضوع في الغالب من جوهره ، وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير ، الذي يبدأ بأصعب ما بين يديه .

ووصفه الدكتور طه حسين هو وشوقي فقال : هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء من غير شك .

ويقول المازني: نقدت شعر حافظ نقداً كله سخر وتهكم أو قلة عقل لأنه صار في رأي ممثلاً لمذهب قديم يجب هدمه ، وكان العقاد يوافقه في ذلك ولكنهما في آخر حياتهما اعترفا بحمق هذا النقد وقالا ... إنه كان من حماقة الشباب ... ويقول عنه الشيخ عبد العزيز البشري : . حافظ شاعر ، يحب الجمال ، خفيف الظل عذب الروح . حلو الحديث . حاضر البديهة ، ولم أجد قط رجلاً أسرع منه حفظاً ، وكذلك لم أر قط رجلاً اجتمع له من متخير القول ومصنى الكلام مرسلاً ومقضى مثل ما اجتمع لحافظ ، فكان حقاً له من اسمه أوفر نصيب وحافظ كلف بالديباجة والصنعة ونسج الكلام .

ورأى حافظ في الشعر هو: أن أدق المعاني وأجلها قد تقع للدهماء. أما إشراق الديباجة، وفصاحة القول، وتلاحم النسج، ورصانة القافية، فذلك هو الشعر .

قصة قصيرة

(جريمة [1] للأستاذ خالد خليفة)

وقفت عند باب المسجد. حتى يخرج الصبي الذي كان يقف إلى جواري في الصلاة . لأقف على أمره. وأخفف عنه ما وسعني ذلك. لأنه كان كلما سجد أخذ يردد « اللهم إليك المشتكى » وكلما استوى جالساً . مسح دموعه بظاهر كفه .

وكان غريباً أن يكون في البشر في سنه المبكرة — « العاشرة » — ثم يحمل في الحياة هماً .

وأقبل نحوي يسير في وهن وضعف . وتقاطيع وجهه تحمل الكآبة والحزن والألم. والتقت عينانا. فسرت على وجهه موجة من الخجل ، وهو يجمع بيده ثوبه البالي ليستر خرقاً كان يكشف جزء من جسده ، وأراد أن يمضي في طريقه بعد أن حياني بأدب وابتسامة لم تشارك ثغره فيها عيناه الغائرتان . غير أنني اعترضت طريقه وقلت له :

— الدنيا برد ، ما عندك ثوب غير هذا ؟

فأجاب بعد أن نظر إلى ثوبه :

---

(١) الموسوعة الأدبية للأستاذ عبد السلام طاهر السامي ، ج ٢ ، ص ١٦٠ — ١٦٤ .

عندي لكن بالبيت طال عمرك . أنت ابن من ؟

— ولد رجال ما تعرفه ؟ طال عمرك . من الشمال .

★ ★ ★

ولحق بنا ابني أحمد وهو يختال في مشيته «بشلحه» الجديد. شأنه في ذلك شأن كل صغير مع كل جديد ، ثم ما لبث أن سلم على الصبي بطريقة تنبىء عن سابق ود . فسألته عما إذا كان يعرف الصبي . فقال :

— نعم إنه ولد عاقل وابن حلال...لكنه يا أبوي ما يشركنا اللعب أبداً ومرات يبكي بدون سبب .

واغتصب الصبي ابتسامة باهتة لسماعه ما قاله بني عنه . وشجعت ابني على دعوته إلى البيت. وفي البيت التف حوله بقية الأبناء. وأخذوا يداعبونه باسمه (سطام). فتبسط معهم. وإن تكن علائم الهم لم تفارق وجهه الصغير الناحل .

وقد طعم الغذاء ولكنه تردد في مشاركة الأطفال (فقالت) له :

— تغذ مع إخوتك .. كل .. اسمع الكلام — أنا مش زي أمك ؟؟؟

وانفجر الصبي باكياً بكاء مراً يقطع نياط القلوب. وما لبث أن تبعه الأبناء والبنات. وإن كانوا لا يعلمون لماذا يبكي سطام ؟

وأسقط في أيدينا. إلا أننا بعد عناء جهيد استطعنا تهدئته. ثم إغراءه على التكلم فقال :

— لقد ماتت أمي منذ ستة أعوام . تزوج أبي بإحدى قريباته لها ولد من زوجها الأول يكبرني بسنة . ثم جاء بهما إلى البيت الذي كنا نقطنه . وكنت أحسب أنني سأجد منها حناناً ينسيني فقد أمي بعض الشيء . غير

أنها وجدت في شخصي « خادما » لها ولإبنها. كانت تقدم لإبنها من الطعام أطيبه. فإذا ما فرغ من تناول الطعام أمرتني أن أصب الماء على يديه، ثم تقذف إلي بقطعة الخبز . وكانت تأمرني أن أنظف البيت وأغسل الصحون وأجيء « بالمقاضي »من السوق. ولكم كانت تردني إلى السوق بالشيء الذي أشتريه بدعوى أنه غير جيد، أو أن ثمنه كثير. وكان أصحاب الحوانيت يوسعوني تقريعاً .

وطلبت إلي ذات يوم أن أجيء بالماء من البئر. فلم أقدر أن آتيها إلا بنصف « التنكة » فأنا أكاد أسقط من ثقلها. فثارت وصفعتني على وجهي وتبعتني وهي تركلني بقدمها. حتى أفرغت الماء في « الزير »وجذبت التنكة من يدي وقذفتني بها على وجهي . فتهشم جزء من أنفي .

ولم أشأ أن أخبر أبي بما حدث عند عودته بعد الغروب كعادته. وذلك لأن أبي كان لا يسمع فيها. وكان من ذلك النوع من الرجال الذين يصدقون المرأة في كل ما تقوله .

وأخذت الحال تزداد من سيء إلى اسوأ. حتى أنني كثيراً ما فكرت في الهروب .. وحدث ذات مساء أن أرسلتني لأجيء لها «بكبريت» من متجر القرية ، فسقط القرش من ثقب في جيبي في الطريق . فخشيت بأسها والتجأت إلى المسجد. ونمت بعد أن غشيني هدوء غريب رغم ما كنت عليه من نصب وجوع .

ولم أستيقظ إلا على يد أبي وهو يهوي بها على صدغي في غير ما رحمة. فأخذت أصيح : «أنا في وجه الله يا مسلمين» وتراكض نحونا رجلان ممن ينامون مثلي في المساجد . فاحتميت بأحدهما فكان نصيبه من أبي صفعة قوية غير مقصودة . غير أن الرجل صاح قائلاً :

— أنت غنام والله لقيتك يا العفن .

وتجاذبا حتى خرج من المسجد في حين أنني قد التصقت بالرجل الثاني وأنا أرتعد فرقاً .

ولم أكن أعرف أن هناك ثأراً قديماً بين قبيلتينا . وبالتحديد بين أبي وبين ابن عم الرجل . إلا بعد أن استل الرجل سكينه وذبح أبي أمامي كما تذبح الشاة وهو يصيح في جنون :

— ساقك الله وأنا أخو ردعه .

وارتميت على صدر أبي أوسعه تقبيلاً دون آبه بدمائه الحارة . التي كانت تنفث من الجرح في قوة وحرارة لتخضب وجهي... وتجمع عدد كبير من الناس على أثر صياحي وصياح الرجل الثاني . وكادت تقع فتنة لو لم يسارع أمير القرية إلى مكان الحادث . فيلقي القبض على قاتل أبي وكان قد أتى نفس ذلك اليوم إلى قريتنا . وسيق القاتل إلى الرياض حيث لا يزال ينتظر حكم الشرع بعد أن أبلغ سن الرشد . وأمسك قليلاً ثم تابع :

— وخرجت أهيم على وجهي حتى أتيت إلى الرياض لأعيش فيها بما يجود به علي المحسنون . وهم بالرياض كثيرون . حتى كان بالأمس فدلني أحدهم على دار الأيتام . الذي أقامها « والد الجميع » لأمثالي . حيث قبلت أنني سأذهب إليهم بعد غد السبت . ويقيني أنني سأجد بها ما لم أجد في كنف أبي من حنان وعطف . إنني ...

ومضى الصبي يسرد قصته غير أنني كنت قد غبت عنه . فلم أعد أفقه بقية قصته .

إنها جريمة . ما في ذلك من شك . جريمة يرتكبها بعض آباء تسدل « المتعة » ستاراً كثيفاً بين عقولهم وبين ما يجري أمام أعينهم وتحت أسماعهم من أحداث . يكمن طياتها في الدمار لها ولأبنائهم فلذات أكبادهم وزينة حياتهم . ترى لو كان هذا التعس « صبية » فهل كان يقذف بها إلى الشارع . الشارع

الذي يسع البشر كما يسع الذئاب في سبيل أن يشبع أبوها نهمه البهيمي .

★ ★ ★

ومضت سنوات ظل خلالها يتردد علينا كل خميس، فيبيت ليلة الجمعة بدارنا، ثم يعود إلى الدار عصر الجمعة، ولا أغالي إذا قلت أنه ملأ في بيتنا الفراغ الذي خلفه ابني الأكبر « فاروق » بعد استشهاده غرقاً . لقد ألفيته شاباً تقياً مهذباً يكن لأبنائي عطفاً أكيداً . وقد أثلج صدري تبدله التام بعد التحاقه بدار اليتامى، فلم يعد ذلك الصبي الضعيف البنية، الضعيف الجسد، ثم إنه أتقن هندسة السيارات .

وسادنا القلق يوم خميس وصبيحة الجمعة لتخلفه عن المجيء إلى بيتنا الأمر الذي لم يحدث منه قط طيلة السنوات الخمس الماضية ، وكان لنا أن نقلق، ذلك لأنه كان قد أصبح من أفراد الأسرة . وذهبت إلى المسجد الجامع، وأنا آمل أن ألتقي به في الموضع الذي تعودنا أن نصلي فيه، ولكنني لم أجده . فخشيت أن يكون قد ألم به مرض مفاجيء . وخرجت من المسجد إلى موقف السيارات، حتى أذهب إلى الدار لأستفسر عنه. وقبل أن أذهب بعيداً وجدت حشداً كبيراً يحيط برجل مكبل، تحرسه ثلة من جنود الشرطة، يراد إقامة الحد عليه، ودفعني الفضول إلى الدنو من الحشد فإذا بي أجد « سطاماً » وقاتل أبيه .

وأسلم الضابط بندقية لسطام ثم قذيفة ، فوضعها في الخزانة في عناية ثم تقدم نحو القاتل في ثبات وخطى منتظمة، وصوب فوهة البندقية نحو رأس القاتل لأبيه، ثم وضع سبابته اليمنى على الزناد، ثم جال ببصره في تلك الجموع الحاشدة، وكأنه يريد أن يتذكر شيئاً.. وتنفس الصعداء وتمتم بينه وبين نفسه :

— لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعاد حيث كان الضابط وأسلمه البندقية وهو يقول :

— من أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً .. أرجو أن تبلغوا « أب الجميع » أنني قد عفوت عن قاتل أبي .

وأخرج منديله ومسح العرق من جبينه.. وصاح الضابط فرحاً في الناس.

— أيها الناس .. إن هذا الشاب يعفو عن قاتل أبيه ابتغاء في ما عند الله .. فقاطعه سطام يقول :

— وحقناً لدماء قبيلتينا .

فدوى المكان :

— بيض الله وجهك .. بيض الله وجهك ..

★ ★ ★

وقبل أن يتفرق الجمع جيء بشاب في سن « سطام » حكم عليه الشرع بقطع يمينه في خمسين ريال بعد أن سرق أكثر من مرة .

وعرفه سطام وعرف أمه التي كانت تولول غير بعيد عن المكان: كان أخوه من أبيه ..

نبذة عن كاتب القصة : (١)

هو الأستاذ خـــالد محمد خليفة .. من الأدباء السعوديين الواعين المخلصين ... ولد في مطلع عام ١٣٣٠ هـ .

وهو يجيد اللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة النوبية القديمة ... ويهوى كتابة القصة منذ أن كان طالباً .

---

(١) الموسوعة الأدبية : للأستاذ عبد السلام طاهر الساسي ، ج ٢ ص ١٦٠ — ١٦٤ .

أصدر في سنة ١٣٧٤ هـ أول كتاب له بعنوان : « في وادي عبقر » وهو عبارة عن قصص أدبية واجتماعية .

وفي سنة ١٣٧٨ هـ أصدر كتابه الثاني بعنوان « الأستاذ حميد » وهو أيضاً عبارة عن مجموعة قصص اجتماعية .

والأستاذ خالد خليفة أديب موزون يمتاز بأسلوبه الخاص واتجاهه المعروف في أدب القصة .. وكثيراً ما يشارك في المجالات الأدبية .

الخصائص الفنية

لهـذه القصـة القصـيرة

والقصة القصيرة تختلف عن القصة . فهل تمثل حدثاً صغيراً يدور في زمن محدد ومكان ضيق وأشخاص معدودة. وهذا الحدث لا بد أن يكون متكاملاً له بداية ووسط ونهاية. يرتبط بعضها ببعض. تقوم بينها علاقة عضوية ، وهي أكثر الأنواع الأدبية رواجاً وشيوعاً .

والقصة القصيرة كالقصة تماماً في اكتمال عناصرها . وقيامها على خصائص فنية لا بد من وجودها على أكمل وجه. حتى تأخذ مكانها المرموق بين أدب القصة. وسنقف مع خالد خليفة في قصته هذه موقف النقد والتحليل لتوضيح الخصائص الفنية فيها .

أولاً : الحبكة القصصية :

وتقوم الحبكة على اختيار الحكاية فلا بد أن تكون مشوقة تستحق ما يبذله الكاتب من المجهود في القصة .

وأن تظهر مقدرة الكاتب في التنسيق بين أجزاء الحكاية. فتقوم على التركيز والتسلسل والتناسب أثناء سردها .

وأن يختار الكاتب طريقة لعرض الأحداث وتطورها من هذه الطرق

وهي إما طريقة السرد المباشر. أو طريقة الترجمة الذاتية . أو طريقة الرسائل أو طريقة تيار الوعي (المونولوج الداخلي) [1] .

وخالد خليفة في قصته هذه ، كان على مقدرة عجيبة في إبراز حبكته القصصية والسيطرة عليها حتى نهاية القصة .

فاختار حدثاً مشوقاً يثير الدهشة في الإنسان. ويحرك كوامن العطف والشفقة فيه. حيث اختار تجربة إنسانية من تجارب الحياة الإنسانية، تصور انساناً ضعيفاً يتيماً وهو « سطام »في مرحلة الطفولة. التي تحتاج إلى رعاية وحفظ وتوجيه وتعليم وبذل. لا قسوة واضطهاد وحرمان وتشريد. وذلك من شخص الوالد الذي ينبغي فيه أن تتجسد غرائز الحب والعطف والتضحية لأبنائه .

وكان الكاتب أيضاً موفقاً في تنسيق أحداث الحكاية. وتسلسلها في تناسب أثناء السرد. وبذلك تحققت الوحدة العضوية بين الأحداث، حيث نمت الأحداث بعضها من بعض. يترتب الحدث على الآخر. وينمو منه وهكذا حتى نهاية الأحداث في الحكاية :

فكان الحدث الأول في المسجد حيث التقى سطام بأحد الخيرين الذي جذبه بسطام بشكواه إلى الله في الصلاة. وبوجهه الشاحب. وبثوبه المهلهل وعينيه الغائرتين . حتى اتضح له أمره .

وتطورت هذه المعرفة في الحدث الثاني. حين تعرف عليه ابن ذلك الرجل وكشف لأبيه عن أحواله الحزينة. التي تظهر عليه أثناء اللعب معه من غير أن يقفهم على أسباب حزنه وكآبته. وهذا ما دفع الرجل إلى أن يصحبه من

---

(١) عالم تيمور القصصي : فتحي الأبياري ، ص ١٨٤ ، عام ١٩٧٦ م .

البيت. ليقف على هذه الأسباب. وفجأة يجد الطفل نفسه مدفوعاً لعرض الأسباب ليواجه موقفاً غير مقصود من ربة البيت .

وفي الحدث الثالث يعرض الطفل مأساته التي بدأت بموت أمه وزواج أبيه من امرأة قاسية تزوجته. وصحبت معها ولداً لها من زوج سابق، ولقي منها ومن والده أشد ألوان الأذى والتبكيت والتنكيل .

وفي الحدث الرابع يتقلب الطفل في ألوان القسوة والحرمان. حتى ينتهي به الأمر إلى الهرب في المسجد . فتابعه أبوه وضربه وضرب من استغاث به ... وكانت المفاجأة فيه . فقد أخرجه من المسجد وقتل غنماً ثأراً لابن عمه . وسيق القاتل إلى الرياض . حيث يكون القصاص. وهام سطام على وجهه حتى استقر في دار الأيتام وأخذ يتردد على بيت الرجل كل أسبوع .

وينمو الحدث الخامس مما سبق فينقطع الصبي عن زيارته الأسبوعية ويبحث الرجل الصالح في موضع من المسجد كانا قد تعودا أن يلتقيا فيه فلم يجده . فعزم على أن يذهب إليه في الملجأ بعد الصلاة. وأمام المسجد وجد حشداً من الناس. وإذا بالصبي وقاتل أبيه يساق إلى ساحة القصاص. والضابط يسلم سطاماً البندقية ليأخذ بقصاص أبيه .

ويتطور الحدث السادس حين يمتنع سطام عن القصاص ابتغاء وجه الله وحقناً لدماء القبيلتين. وهنا تهتز الساحة بالثناء والتقدير لذلك الصبي. لينتصر الخير . بينما ينهزم الباطل . فيرى زوجة أبيه القاسية تولول على ابنها السارق ، الذي ستقطع يده في نفس الساحة وقتذاك .

أحداث ستة نامية تطورت بعضها مع بعض في تسلسل وترتيب وإحكام مما جعل الوحدة العضوية قوية متماسكة في سرد الأحداث للحكاية [1] .

---

(١) النقد الأدبي الحديث : الدكتور محمد غنيمي هلال. ص ٤٥٦ . ط ٣، عام ١٩٩٤.

ويلاحظ أن الكاتب بدأ القصة من الوسط حين التقى بالطفل في المسجد، وثنى بالداية حين عرض الطفل قصته على أهل البيت. ثم تحرك المؤلف بعد ذلك إلى النهاية . ولا يضر ذلك بترابط القصة ووحدتها. بل يدل على مهارة مؤلف القصة .

وقد جمع الكاتب بين طريقين من طرق العرض وهما :

١ – طريق السرد المباشر حين روى الكاتب الأحداث بنفسه في بداية القصة حتى روى الصبي قصته .

٢ – طريق الترجمة الذاتية حين ترك الكاتب الطفل يتحدث عن قصته ومأساته بنفسه في بيت الرجل الصالح وأهل بيته من حوله يسمعون حتى قرب نهاية القصة . وقد رسم الكاتب في هذه الطريقة جواً من الصدق والسذاجة والألفة. حتى خيل للقارىء أن هذه القصة منشورة له على الطبيعة دون تكلف أو افتعال .

ثانياً : الأشخاص :

والأشخاص في القصة هي المركز التي تدور حولها الأحداث . فهي مدار المعاني الإنسانية والقضايا العامة . ومصدرها الواقع . لكنها تظهر على خلاف الواقع أثناء العرض الفني . لأن سلوكها معلل ونوازعها مفسرة تفسيراً له معان إنسانية .

والأشخاص في التاريخ تختلف عن أشخاص القصة . فالمؤرخ يحكم على الأشخاص من الخارج . فينعدم عنصر المفاجأة . بينما القاص يستبطن وعي الشخصية لأنه يصورها بعينه . وبذلك يظهر فيها عنصر المفاجأة .

كما أن الشخصية نوعان : شخصية نامية وهي التي تتطور مع الأحداث وشخصية بسيطة وهي التي تمثل صفة واحدة. أو عاطفة واحدة حتى آخر الأحداث .

وينبغي ألا يتعدد البطل في القصة . بل يكون شخصاً واحداً رئيسياً ، وتدور حوله شخصيات أخرى لهم أدوار ثانوية .

والشخصية تأخذ عند الفنان طريقتين :

١ — الطريقة الأولى : وهي الطريقة التحليلية، وفيها يرسم الفنان الشخصية من الخارج ويشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها ويعقب على بعض تصرفاتها ويفسر البعض الآخر ويعطي رأيه فيها .

٢ — والطريقة الثانية وهي التمثيلية . ويبتعد الفنان فيها عن الشخصية، لكي تظهر بالتعبير عن نفسها . وتكشف عن حقيقتها . وذلك عن طريق التصرفات والأحاديث .

وللقصاص أن يستعمل الطريقتين في القصة الواحدة .

وخالد خليفة قد رسم شخصيات القصة رسماً دقيقاً بلمسات الفنان الماهر . فجسم النماذج الإنسانية الخيرة في شخص البطل والرجل الصالح الذي آواه ومنحه من عطفه وحبه وفي شخص رب العائلة الكبيرة، الذي ضمه في بيته الكبير بيت راعي الأمة في دار الأيتام . فكان المصير لهم جميعاً التقدير والاحترام والإجلال .

كما جسم النماذج الإنسانية الشريرة في شخص زوجة أبيه القاسية الحمقاء وفي شخص أبيه الذي اتبع هواه وسلك سبيل الشيطان . فكان المصير لهما الشقاوة في الدنيا والآخرة حيث لقي الأب مصرعه نتيجة لحمقه وطيشه ، وتقلبت الزوجة في بحر الألم والتعذيب والوحدة والغربة، حتى من أبنائها بقية الحياة، فكان ذلك أشد على نفسها من الموت .

وركز الكاتب أضواءه على شخصية واحدة . وهي شخصية البطل «سطام» حيث دارت حولها كل الأحداث في القصة . بل تحركت في ظلالها كل الشخصيات الثانوية : وهي شخصية الرجل الصالح . وزوجة ابنه الصغير ،

وشخصية راعي الأمة. وشخصية والده. وزوجة والده. وشخصية الضابط فظهرت هذه الشخصيات في أدوار ثانوية لا تطغى على الدور الرئيسي لشخصية البطل .

وكان الكاتب أيضاً موفقاً كل التوفيق حينما رسم شخصية البطل. فاستخدم الطريقتين السابقتين. ومزج بينهما. فاتخذ الطريقة التحليلية برسم شخصية سطام من الخارج بشرح عواطفه وأحاسيسه وملامح بؤسه ، وذلك حين كان في المسجد وخارجه . وفي داخل البيت. حتى انفجر بالبكاء عندما ذكرته ربة البيت بأمه التي ماتت .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الطريقة التمثيلية. عندما شرح الطفل قصة مأساته كاملة . حتى دخل دار الأيتام .

ثم عاد الكاتب بعد ذلك إلى الطريقة التحليلية حتى نهاية القصة .

ثالثاً : الأسلوب في القصة :

والأسلوب في القصة هو الطريقة الفنية التي يشخص بها الكاتب الأحداث والمواقف والشخصيات . وتنحصر في الأساليب البلاغية والنماذج الفنية التي كونتها ثقافة الفنان اللغوية . وبذلك يكون الأسلوب هو شخصية الفنان في تناول القصة .

والأسلوب في القصة نوعان :

١ ــ السرد : وهو أن يعرض الكاتب الحكاية والشخصيات وأدوارها على لسانه بالوصف من غير أن تتدخل الشخصيات بأنفسها في إدارة الحوار فيما بينها .

٢ ــ الحوار : وفي هذا النوع من الأسلوب يختفي المؤلف وراء الشخصيات

ويتركها لتتحرك وتعبر عن نفسها بالتحادث والحوار الدائر بينها، ولا دخل للمؤلف في ذلك .

وقد تشتمل القصة الواحدة على النوعين من الأسلوب وهما السرد والحوار . واستطاع خالد خليفة بمقدرة فائقة أن تضم قصته أسلوب السرد والحوار معاً . فقد اتخذ أسلوب السرد والوصف من بداية القصة حتى قص الطفل قصته . وهنا بدأ أسلوب الحوار . حيث اختفى المؤلف . وظهر الطفل يتحدث بنفسه وعما حدث له . ثم عاد الكاتب إلى طريقة السرد بعد أن انتهى الطفل من قصته . ودخل دار الأيتام حتى نهاية القصة .

ومن خصائص الأسلوب في هذه القصة أنها دلت على ثقافة الكاتب اللغوية . وتمكنه من ناحية اللغة العربية وسلاسة عباراته . وعذوبة فقرات الأسلوب . وسهولته الدانية من الأفهام . وتشخيصه الحي للأحداث والأشخاص حتى ليفرح القارىء في مواقف الفرح . ويحزن ويبكي في مواقف الحزن والبكاء . فالأساوب قوي فصيح تتمثل فيه الواقعية مع فصاحته فيفهمه كل قارىء مهما اختلفت ثقافته عمقا وضعفا .

وبهذه الطريقة التي سار عليها الكاتب في الأساوب الفصيح القريب نرد الدعوى المفتراة على الفصحى باسم الواقعية في القصة . فهم يرون أن الواقعية في القصة أن تكون بلغة أشخاصها في الواقع وهم عادة يتكلمون اللغة العامية ولغة الشارع . ولا تكون القصة عندهم واقعية إلا إذا تكلم العامي بلسانه . أما إذا تفاصح الكاتب على لسان شخصيات القصة العامية فتنزل قصته عن الواقعية .

وهذا تصور خاطىء واتجاه غير صحيح في فهمهم للواقعية . فليس المقصود من الواقعية في الأسلوب أن يستخدم الكاتب العامية لكون بعض

الأشخاص عوام. فهناك من اللغة الفصحى السهلة القريبة مثل لغة كاتب هذه القصة . وتتجاوب مع العامة ويفهمونها .

وإنما المقصود الحقيقي من الواقعية في الأسلوب . لا العامية ولا الفصحى. بل المقصود بها واقعية العمل الفني . وهي لا تتصل بالشكل الخارجي للأسلوب . بل تتصل بالجوهر الداخلي والباطني. أي أن العمل الفني يكمن في المعنى وفي الفكرة وفي الروح وفي طريقة العرض . وفي طريقة تناول الحياة . كأن يكون المعنى بسيطاً مع العامل والفلاح ورجل الشارع . ويكون عميقاً مع العالم والفيلسوف . ولا ضير أن يعبر عن ذلك بأسلوب سهل فصيح . وعلى ذلك فلا مجال لتسلط العامية على الفصحى وارتباط الواقعية بالعامية كما يزعمون وهذا خطأ شنيع.. المقصود محاربة اللغة العربية والقضاء على فصاحتها ، وأنى لهم ذلك. قال تعالى: « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

والقرآن الكريم لأكبر دليل في الرد على دعاة الواقعية المزعومة. فلغته سهلة قريبة يفهمها العالم والجاهل. ويهتز لها العميق والسطحي. وكانت هذه اللغة السهلة القريبة هي موطن الإعجاز في الأسلوب .

وعلى الرغم من التوفيق الكبير الذي وفق إليه كاتب القصة في الأسلوب الفصيح السهل القريب إلا أنه تورط في خطأ عامي في الأسلوب وقع على لسان ربة البيت وزوجة الرجل الصالح في قولها : (أنا مش زي أملك) فهذه عبارة عامية كنت أتمنى للكاتب ألا يغير بهـا وجه قصته المشرق بالفصاحة والروعة . وفي اللغة من أساليب التشبيه الكثير من السهل القريب.

وقد تورط في خطأ آخر. يتصل بطريقة الأسلوب. وهي تلك النبرة الخطابية التي كشفت عن شخصه . وكان ينبغي ألا يظهر بل يختفي وراء الأحداث. ولا يصدر عنه مباشرة. أو يبدي رأياً صريحاً في القصة. بل يترك

أحداثها وأشخاصها بحركاتهم وتصرفاتهم هي التي توحي بالحكم، وتومىء بالرأي ، وذلك حينما نصب المؤلف نفسه قاضياً وحكماً ، ففضل القول بأنها جريمة شنعاء في قوله :

إنها جريمة ما في ذلك شك ، جريمة يرتكبها بعض الآباء تسدل المتعة ستاراً كثيفاً بين عقولهم وبين ما يجري أمام أعينهم .. إلى آخر قوله : في سبيل أن يشبع أبوها نهمه البهيمي .

وتلاءم أيضاً مع هذه القصة القصيرة ما اعتمد عليه الكاتب من الإيجاز والتركيز في الأسلوب وفي طريقة العرض وهو ما يتناسب فنياً مع أسلوب القصة القصيرة .

رابعاً : الزمان والمكان :

وهما من العناصر الرئيسة في القصة القصيرة، وينبغي أن يكون الزمان هنا في هذه القصة محدوداً لا يشمل العمر كله ، بل يكتفي فيه بفترة زمنية يسيرة تمثل حلقة واحدة من عمر الإنسان، الذي هو بطل القصة. وقد كان الأمر كذلك حيث كان عمر سطام في هذه القصة تلك المرحلة الزمنية التي نما فيها من التميز في الصلاة، حتى بلغ سن الرشد الذي به يستطيع أن يأخذ بقصاص أبيه . ومكث هذه الفترة يتعلم مهنة فنية في دار الأيتام .

وكذلك المكان هنا كان محدوداً لم يتجاوز مواطن محدودة ما بين القرية والمسجد بالرياض وبيت الرجل الصالح ودار الأيتام وساحة القضاء وهذه ولا شك أماكن محدودة تتناسب مع القصة القصيرة .

أما القصة بصفة عامة فقد يشمل الزمن فيها عمر البطل كله مهما طال ويشمل المكان فيها جميع أنحاء العالم، وخاصة بعد سهولة الإتصال بكل موقع في الأرض .

خامساً : الأزمة والعقدة :

موطن تشابك الأحداث وتأزمها في القصة تسمى بالعقدة والأزمة ، وعندها يكون القارىء متشوقاً لانفراج الأزمة، وقد كانت في قصتنا هذه حين أمسك سطام بالبندقية ، ليأخذ بقصاص أبيه في ساحة العدل؛ فالأعناق مشرئبة ، والقلوب مضطربة تنتظر النهاية المؤسفة .

سادساً : الحـــل :

ويتحقق بانفراج الأزمة وحل العقدة بما لايتوقع القارىء ،وإذا بسطام والناس ينتظرون النهاية المؤسفة ،يأتي بحل غير متوقع ،حين يعفو عن قاتل أبيه لوجه الله تعالى وحقناً لدماء القبيلتين ، فترتع الساحة فرحاً وتقديراً وثناء : بيض الله وجهك .....؟؟

لينتصر الحق ويمحق الله الشر ، فتعاقب زوجة أبيه وابنها .

المقـــال

حـــد البلاغـــة

من مقال للأديب الناقد
أحمد حسن الزيات[1]

تسألني بعد ذلك عن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها : أهي بلاغة العقل العربي ، التي تجلت في نثر ابن المقفع والجاحظ وابن العميد؟ وارتسمت في منهج أبي هلال وعبد القاهر ؟ أم هي بلاغة العقل اليوناني ، التي تمثلت في كلام الأصوليين والجدليين والمناطقة ؟ واستمرت في قواعد السكاكي والسعد ؟ أهي بلاغة المعنى ؟ أم بلاغة اللفظ ؟ أهي بلاغة الفكر ؟ أم بلاغة الأسلوب ؟

والجواب : أن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها هي البلاغة التي تحدى بها القرآن أمراء القول في عهد كان الأدب فيه صورة الحياة وترجمة الشعور ، وعبارة العقل . وهي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حي ، روحه المعنى وجسمه اللفظ . فإذا فصلت بينهما . أصبح الروح نفساً لا يتمثل ، والجسم جماد لا يحس .

والناظر المتقصي في أقوال هؤلاء وأولئك يستطيع أن يستخلص من جملتها ، أن البلاغة هي بمعناها الشامل الكامل : ملكة يؤثر بها صاحبها

---

(١) كتاب دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات .

في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام ، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة ، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة ، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة .

وتحليل ذلك أن البلاغة في الكلام هي تأثير نفس في نفس ، وفكر في فكر ، والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التغلب على مقاومة في هوى المخاطب أو في رأيه ، وهذه المقاومة تكون فاعلة كسبق الإصرار أو الميل أو العزم ، وقد تكون منفعلة كالجهل أو الشك أو التردد أو خلو الذهن فإذا كانت منفعلة كانت ضعيفة ، لا تحتاج في قهرها إلى الوسائل البلاغية القوية . فالمرء يجهل أو يشك أو يتردد ريثما يتهيأ له أن يعلم ، أو يستيقن أو يجزم . وهو في مثل هذه الأحوال تكفيه الحقيقة البسيطة المستفادة من (التعليم) ، وقد يكون مع الجهل زيف العلم واعتساف الحكم ، وخطل الرأي الثابت باستمرار العادة ، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة ، وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جمعاء على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان وذلك كله أو بدون ذلك كله ، فتور في الطبع فلا ينشط الحديث ، ولا يرتاح إلى رأي ، وهنا يجب على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ، ويحرك النشاط ، فيوشي الحقيقة بخياله ، ويحيي الأسلوب بروحه ، ويجذب القارىء بفنه ، وفي هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة .

وقد تكون المقاومة ضعيفة أو معدومة من جهة العقل ، ولكنها تكون قوية عارية من جهة النفس ، فأنا لا أماري في أن هذا هو الحق ، ولكني أستثقله ، أو هو الفضل ، ولكني أسترذله ، أو هو النفع ، ولكنه يجهد نفسي ويسبر قواي ، أو هو العدل ، ولكنه يعارض نفعي ويصادم هواي فجهد البلاغة منا يجب أن يوجه إلى النفس من طريق التأثير ، لا إلى العقل من طريق الإقناع .

فإذا اجتمع على مقاومة البلاغة العقل والهوى . وهذا بميله أو نفوذه وذاك بإصراره أو قصوره ، كان هذا ميدانها الأول وجهادها الطيب ، لقد حشد لها العدو جميع قواه ، فيجب أن ترفع حجره ، وتستعد له ، وهي على حسب ما تقتضيه الحال ، إما أن تهاجم الرأي ، لتخضع بخضوعه الإرادة كحالها مع القاضي ، وإما أن تهاجم الإرادة ، فيخضع بخضوعها الرأي كحالها مع الجمهور .

أما الغرض من تحايل هذا التعريف فهو تجلية المراد من قوة البيانين أن البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فليست الأحوال المعروضة أو المفروضة إلا انفعالات العواطف في النفس ، أو اتجاهات الخواطر في الذهن ، وليست مقتضياتها إلا الصور البلاغية المناسبة التي يهتدي إليها البليغ بطبعه أو فنه ، فيؤثر بها في هذه العواطف ، أو في تلك الخواطر التأثير الذي يريد .

فالبلاغة إذن توجه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً ، تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة ، فإذا كان غرض البليغ نفي جهالة أو توضيح فكرة ، أو تقرير رأي ، جزاه في إصابة غرضه الصحة والوضوح والمناسبة ، فإذا أراد التعليم أو الإقناع ، وكان قوام الموضوع طائفة من الفكر أو الأدلة ، وجب عليه أن ينسقها ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة في المنهج العلمي الحديث .

أما إذا قصد إلى التأثير والإمتاع ، لا إلى التعليم والإقناع ، كان سبيله أن يتأنق في اختيار لفظه ، ويتفنن في تحرير أسلوبه ، ويستعين على اجتذاب الأذهان واختلاب الآذان ، بإيداع الملكة ، وإلهام الروح وتشويق المخيلة ، وتزويق الفن .

والبلوغ إلى قرارة النفوس أخص صفات البليغ في كل ما يكتب ،

فلو أن كاتباً وقع على طائفة من الحقائق، أو حصل على مجموعة من الوثائق ثم حققها ونسقها وأداها في أحسن لفظ وأجود صياغة ، ولكنه لم يبلغ بها كنة القلوب ، كان حرياً أن ينعت بما شاء من النعوت إلا البلاغة .

والسر في ذلك أن ضروب المعرفة إنما تقوم على الملكات المحصلة ، وتعتمد على العقل المجرد ، وتثبت بالدليل القاطع ، ولكن الإثبات ليس معناه الإقناع ، فإن الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة . هي وحدها التي تعتد بالعقل في إدراك الحق وبالشعور في إدراك الخير ، وبالذوق في إدراك الجمال ، وهي وحدها التي تنفذ إلى القلب بسلطان غير ملحوظ ، وتؤثر في الذهن ببرهان غير ملفوظ وتذهب في تصوير الواقع وتقرير الحق مذهب الوحي الإلهي الخالد .

فالوظيفة الأولى للبلاغة هي الإقناع من طريق التأثير ، والإمتاع من طريق التشويق، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر ، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد ، وربما جعلوا سر البلاغة في جمال الصياغة .

قال أبو هلال : وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني، يعرفها العربي، والأعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً . ولا يقنع من اللفظ بذلك ، حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت ، ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة يبالغون في تجويدها ويغلون في ترتيبها، ليدلوا على براعتهم، ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر من ذلك ، فربحوا كداً كثيراً ....

والحق أن أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة هي أناقة الديباجة، ووثاقة السرد، ونصاعة الإيجاز، وبراعة الصنعة، فإذا كان مع كل ذلك المعنى البكر

والشعور الصادق، كان الإعجاز، وليس أدل على أن الشأن الأول في البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب من أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه، قد يتسم بالجمال، ويظفر بالخلود، إذا جاد سبكه، وحسن معرضه.

نشأته وحياته :

ولد أحمد حسن الزيات في (دميره) محافظة الدقهلية من أسرة ريفية صالحة ، وكان مولده عام ١٨٨٥م، حفظ القرآن وجوده في الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بالأزهر الشريف ، ودرس علومه في الدين والفقه والتفسير والحديث والتاريخ والبلاغة واللغة والأدب ، لكنه غلب عليه حبه للأدب، فتتلمذ هو وطه حسين على الشيخ حسين المرصفي، والخلاف حول الحجاج بينهما وبين مشايخهما فصلا معاً من الأزهر ، وشفع لهما أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد .

ثم التحق بالجامعة الأهلية، وحصل على ليسانس الآداب، وقد تعلم الفرنسية ، وعمل مدرساً في الابتدائي والثانوي ، ثم مدرساً في الجامعة الأمريكية .

ثم سافر إلى فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق فيها ، وبعد عودته رفض التدريس في الجامعة ، ثم سافر إلى العراق مدرساً ، وبعد عودته عرض على صديقه طه حسين إصدار مجلة « الرسالة » ولكن طه حسين رفض ، فأصر الزيات على إخراجها وأصدر مجلة الأدب « الرسالة » وأصبح الزيات زعيم جامعة الرسالة في الأدب العربي الحديث عام١٩٣٣م.

ثم توقفت الرسالة، وأصبح مديراً لمجلة الأزهر ، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والعراقي ، وعضواً بلجنة الترجمة والتأليف والنشر.

وله مترجمات ومؤلفات ومقالات كثيرة منها : (وحي الرسالة)

و (تاريخ الأدب العربي) ، (آلام فرتر) ، (روفائيل) ، (أصول الأدب) ، (من الأدب الفرنسي) ، (دفاع عن البلاغة) ومقالات كثيرة في الأدب والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

كتاب دفاع عن البلاغة :

في أسلوب موسيقي وعبارات منتقاة حية تموج بالظلال والألوان تناول الزيات في هذا الكتاب البلاغة ومعناها وأصولها وتأثيرها ، ليرد بذلك على كتاب الصحافة ، والمتأدبين ، الذين يدعون البلاغة في أسلوبهم ومقالاتهم وهم منها براء ، لا يعرفون طريقها ، ولا يفهمون حدودها ، ويضلون آلاتها ثم ميز بين الطبع والصنعة ، وقام بدراسة عميقة حول الذوق والأسلوب ومصادر قوته ومظاهر روعته وسحرها ، وأخيراً تناول الصحافة وعشاقها وأنكر عليهم قصورهم عن التعبير بالفصحى وإيثارهم العامية ، والمقال الذي معنا من هذا الكتاب .

المقـــال[1]

معنـــاه :

المقال : هو قطعة نثرية يجلو فيها الكاتب خاطراً تأمله ، أو موضوعاً درسه ، أو رأياً آثره بأسلوب واضح ملائم يصطنع فيه بحسب المقام عناصر التشويق والتصدير والحوار .

فالمقال يميل إلى القصر والإيجاز ، غير مسرف في الطول ويتصف بحرية الإختيار بين الموضوعات ويظهر في أسلوب يروق القارىء ويستهويه بوضوحه وانطلاقه وصدقه وخفة روحه .

---

(١) نماذج من تراثنا : الدكتور السعيد عبادة والمؤلف .

والمقال بهذه الخصائص قد حظي في أدبنا الحديث من بين فنون الأدب الأخرى بأكبر قدر من الإقبال عليه والنشاط والرواج، لأن القارىء يجد فيه متعة نفسه وغناء فكره بأيسر جهد ، ولولاه لما راجت الصحافة ونفق سوقها ، ولما كان للمجلات مجال في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية .

أنواع المقـــال :

وهو قسمان :

أولا : الذاتي : ويعتمد على تجلية الشخصية الإنسانية ومن أبرز خصائصه :

١ ــ أن الكاتب يعبر فيه عن تجربة ذاتية وجدانية عاناها وعاشها بحيث تكون حية ممتعة .

٢ ــ ويعرضها بطريقته الخاصة وتحمل طابع شخصيته ولا يخضع فيها لقواعد خارج نفسه .

٣ ــ وأسلوبه في التصوير هو أسلوبه الأدبي الذي يتميز بالعاطفة ويثير الانفعال عن طريق الإيحاء لا التصريح ، وعن طريق الصور الخيالية وموسيقية الألفاظ والعبارات .

والمقال الذاتي له عناصر هي :

١ ــ المضمون وهو الفكرة والخاطرة التي يبني عليها الأديب موضوعه .

٢ ــ التصميم : وهو تصور الكاتب لبناء موضوعه تصوراً ينبىء بالنهاية منذ البداية .

٣ ــ الأسلوب : وهي طريقة الأديب في استعمال اللغة واستغلال وسائلها التعبيرية لإبراز فكرته .

والمقال الذاتي أنواع هي :

١ – المقال الشخصي : ويصور الكاتب فيه موقفه الخاص من نفسه أو فكرة استهوته أو موقفاً لشخصية نبيلة فيعكس تأثر شخصيته لها . مثل مقالات البشر في المرآة .

٢ – المقال الوصفي : ويصف فيه الكاتب بعض مشاهد الطبيعة من خلال إحساسه بها ومشاعره نحوها .

٣ – نقد المجتمع : ويعتمد على نقد العادات والتقاليد البالية أو الجديدة وغالباً ما يكون في فترات الصراع بين القديم والجديد ومن رواده العقاد وطه حسين والمازني والرافعي .

٤ – المقال التأملي : ويتناول مشكلات الحياة والنفس فيدرسها الأديب ويفسرها من وجهة نظره مثل مقالات لأحمد أمين .

ثانياً : المقال الموضوعي : ويظهر في محتواه الفكري وطريقة عرضه . ومن أبرز خصائصه :

١) أن يكون موضوعاً مستقلاً عن ذات الكاتب غير متأثر بهواه .

٢) ليس الكاتب حراً في طريقة عرضه، بل يلتزم خطة معينة يقوم عليها المقال وهي المقدمة والعرض والخاتمة .

٣) أسلوبها علمي يتسم بالوضوح والدقة والتحديد .

عنـــاصره :

١ – المقدمة : تتصل بالموضوع تمهيداً بجوهره .

٢ – العرض : للنقط الرئيسية في صلب الموضوع في سياق منطقي مؤيد بالبراهين .

٣ ــ الخاتمة : وهي النتيجة والغاية من التقديم والعرض بحيث تكون طبيعية مقنعة .

أنواعـــه :

١ ــ المقال السياسي : وهي الموضوعات التي تتناول شؤون الوطن والشعب والأمم والدبلوماسية وغيرها ومن أعلامها الأفغاني ومحمد عبده وعبدالله النديم والكواكبي وغيرهم .

٢ ــ النقد الفني : هو الذي يتناول الآثار الأدبية والفنية ومنشئيها بالدراسة والنقد والتحليل والحكم ، وذلك مثل المقال الذي معنا للزيات حيث تناول فيه قضية البلاغة في الأسلوب وهو موضوع نقدي .

٣ ــ النقد العلمي : ويعرض فيه الكاتب موضوعاً علمياً أو مشكلة أو نظرية عرضاً موضوعياً ، يعتمد على الإستيعاب والتمحيص والتفسير مثل مقالات لأحمد لطفي والعقاد وأحمد زكي[1] .

الموضوع في مقال الزيات وخصائصه الفنية :

تناول المقال النقدي للزيات عناصر قام عليها ، وأفكاراً اشتمل عليها الموضوع ، وهذه العناصر والأفكار هي بإيجاز :

١ ــ الفرق بين بلاغة العرب المجردة من القواعد الفلسفية والمقدمات المنطقية مثل بلاغة الجاحظ وأبي هلال وعبد القاهر وغيرهم وبين بلاغة اليونان التي تقوم على الفلسفة والمنطق مثل بلاغة السكاكي والسعد.

٢ ــ خلاصة تعريف البلاغة عند القدماء هو ملكة يؤثر بهـــا صاحبها في عقول الناس وقلوبهم عن طريق الكتابة أو الكلام . والتأثير في

---

(١) انظر نماذج من تراثنا : د. السعيد عباده ــ والمؤلف .

العقول يتم بواسطة موهبة التعليم ، والتأثير في القلوب يتم بواسطة العاطفة والشعور ، وبهما يتم الإقناع على أكمل وجه .

٣ – أما تعريف الزيات للبلاغة فهو قائم على التحليل العميق لخلاصة تعريف القدماء فهو :

تأثير نفس في نفس، وفكر في فكر للتغلب على مقاومة في المخاطب. ومقاومة المخاطب أقسام كل قسم يحتاج إلى أسلوب يتناسب مع المقام وهذه الأقسام هي :

أ – أن تكون المقاومة خلو الذهن أو الجهل أو الشك أو التردد ، وتكفي الحقيقة البسيطة والعبارة المجردة من التوكيد للإقناع والفائدة .

ب – أن تكون لمقاومة الجهل لكنه مع زيف في العلم واعتساف في الحكم وخطل في الرأي ، ولا يتم الإقناع في هذا المقام إلا عن طريق استجماع البراهين العقلية .

جـ – فإن اجتمع في مقاومة المخاطب الجهل المجرد أو الفاسد مع الفتور في الطبع ، فلا بد في الإقناع من دفع السأم وتحريك النشاط فيعبر عن الحقيقة في بيان أخاذ وخيال رائع .

د – وقد تكون المقاومة ضعيفة في جانب العقل ولكنها قوية من جانب النفس فلا يتم الإقناع إلا بالتصوير الأدبي الذي يأخذ بالنفس كل مأخذ لا بالإقناع عن طريق العقل .

هـ – فإذا كانت المقاومة قوية من جهة العقل وهوى النفس معاً ، حشد لها البليغ كل وسائل الإقناع بالعقل وكل وسائل التأثير على النفس .

٤ – أن الكاتب وضح مراده من هذا التحليل في التعريف، وهو أن يكشف

به قول البلاغيين : أن البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، ولكل مقام مقال .

٥ ــ فالبلاغة عنده توجه إلى القلب أو إلى العقل أو إليهما معاً حسب ما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو كلها مجتمعة .

٦ ــ السيطرة على النفس لا تتم بغير البــلاغة ، فالعقل يدرك الحق ، والشعور يدرك الخير ، والذوق يدرك الجمال .

٧ ــ وظيفة البلاغة هي : الإقناع من طريق التأثير ، والإمتاع من طريق التشويق ، ولذلك جعلوا سر البلاغة في جمال الصياغة لا المعنى .

٨ ــ فالبلاغة ليست في المعاني وحدها ، وإنما هي في الديباجة وبراعة الصنعة ونصاعة الإيجاز ، وإن كان المعنى مرذولاً أو تافهاً .

خصائص الموضوع :

١ ــ تعريف البلاغة لم يخرج عما قاله القدماء من قيم جمالية ومقاييس بلاغية لكن طريقة الزيات في تحليل معنى البلاغة أعطى له صفة العمق والتنوع والتفصيل جميعاً ، مما جعل مفهومه أكثر وضوحاً عنده من القدماء .

٢ ــ كما أن دفاعه عن البلاغة هنا يتسم بالحجة القوية والدليل الواضح والبرهان الساطع ، مما يجعل القارىء يسلم له بالحكم ، ولا يختلف معه في شيء .

٣ ــ ومن مظاهر التجديد في معنى البلاغة أن القدماء قسموا موافقة الكلام لمقتضى الحال إلى قسمين وحالين : حال الخالي الذهن والجاهل وحال المنكر والمتردد ، بينما الزيات قسمه إلى خمسة أقسام من أ إلى هـ وهي : جاهل مجرد ، وجاهل متردد ، وجاهل فاتر الشعور ، وجاهل

ثائر النفس ومنكر ثائر النفس ، وهذه التقسيمات الخمسة من أبرز خصائص التجديد في موضوع مقاله النقدي هذا .

خصائص التصوير الأدبي في المقال :

١ ــ تمتاز الألفاظ بالقوة مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها ووضوحها في المعنى القريب .

٢ ــ تلاءمت الألفاظ مع الغرض من المقال ، وهو معنى البلاغة حيث دارت الألفاظ في حقل البلاغة مثل كلمات (التأثير والإقناع والملكة والنفس والعقل والذهن والجهل والتردد والإنكار ومقتضى الحال والجمال والذوق وغيرها حتى آخر المقال) .

٣ ــ والأسلوب يتسم بالإشراق ووضوح المعنى ، وصحة الغرض ، وجمال التركيب ، وروعة الصياغة ، وقصر الفقرات والجمل إلا القليل من العبارات التي جنحت إلى الأغراب ، وذلك عند حديثه عن المقاومة عند المخاطب فهذه العبارات تحتاج إلى تأمل وروية .

٤ ــ يمتاز الأسلوب بالتفصيل والإطناب لا الإيجاز والإستطراد في التعبير مثل قوله : كان سبيله أن يتأنق في اختيار لفظه إلى آخر هذه الفقرة .

٥ ــ كانت الألفاظ والأساليب محددة المعنى ، دقيقة المغزى ، تصيب الهدف من غير زيادة ولا نقصان ، فهي أقرب إلى الأسلوب العلمي من الأسلوب الأدبي ، وذلك لأن المقال في النقد والبلاغة ــ وهما من العلوم المحددة ــ يحتاج إلى دقة في التعبير وإصابة في الألفاظ لتدل على معانيها صراحة من غير إيحاء أو ثوب فضفاض .

٦ ــ جاء الإقناع هنا في الأسلوب عن طريق العقل والفكر لا عن طريق التأثير بوسائل البيان وصور الخيال . فتكاد تنعدم صور الخيال الحية

في المقال ، لأن الموضوعية هنا غلبت جانب العقل على جانب الخيال ، فتقرير قواعد البلاغة وإبراز مقاييسها تحتاج إلى دقة في الأسلوب ، تقوم على العقل لا على ملكة الخيال ، التي لا تعمل إلا في المقال الذاتي بأنواعه .

٧ — هذا المقال نوع من الأنواع الفنية له وهو المقال الموضوعي ، وبالتحديد فهو مقال في النقد والبلاغة ، ولذلك تجد معانيه وأفكاره مقررة لا دخل لعاطفة الكاتب فيها ، ولا أثر لوجدانه ومشاعره في الأحكام العقلية والنتائج المترتبة على سوق المقدمات .

٨ — يعد الزيات من مدرسة المحافظين المجددين ، لا المجددين الثائرين فهو مجدد لكنه في هدوء يشده التراث العربي الأصيل ، فيحافظ على شكله وديباجته واتزانه ، فهو يمضي مع مصطفى صادق الرافعي في هذه المدرسة .

من أهم مصادر البحث ومراجعه
بالإضافة إلى ما ذكر في الهامش

١ ــ ديوان حافظ إبراهيم — للشاعر
٢ ــ قصة الأدب في مصر — د/ محمد عبدالمنعم خفاجي
٣ ــ قصة الأدب المعاصر — د/ » » »
٤ ــ الأدب العربي الحديث ومدارسه — د/ » » »
٥ ــ المختار — عبد العزيز البشري
٦ ــ التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد — د/ عبد الحي دياب
٧ ــ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي — عباس محمود العقاد
٨ ــ الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث — أنيس المقدسي
٩ ــ الأدب العربي المعاصر في مصر — د/ شوقي ضيف
١٠ ــ تاريخ آداب اللغة العربية — جورجي زيدان
١١ ــ تاريخ الأدب العربي — أحمد حسن الزيات
١٢ ــ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر — جورجي زيدان
١٣ ــ في الأدب الحديث — عمر الدسوقي
١٤ ــ حافظ وشوقي — د/ طه حسين
١٥ ــ حافظ وشوقي — حسن كامل الصيرفي
١٦ ــ تراجم شرقية وغربية — د/ محمد حسين هيكل
١٧ ــ حافظ إبراهيم — أحمد محفوظ
١٨ ــ شعراء الوطنية — الرافعي
١٩ ــ تطور الشعر الحديث في مصر — ماهر فهمي
٢٠ ــ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — مصطفى السحرتي
٢١ ــ ساعات بين الكتب — عباس محمود العقاد
٢٢ ــ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر — د/ محمد حسين

٢٣ ــ أصداء الدين في الشعر المصري الحديث د / سعد الدين الجيزاوي
٢٤ ــ محمود سامي البارودي عمر الدسوقي
٢٥ ــ معالم التطور الحديث في اللغة العربية د / محمد خلف الله أحمد
وآدابها .

٢٦ ــ ديوان الرصافي طبعة ١٩١٠ م للشاعر
٢٧ ــ ذكرى الرصافي البدري
٢٨ ــ ديوان أجنحة بلا ريش حسين سرحان .
٢٩ ــ الموسوعة الأدبية عبد السلام طاهر الساسي مكة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م
٣٠ ــ الشعر الحديث في الحجاز عبد الرحيم بكر المدينة ١٣٩٧ هـ
٣١ ــ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ــ د. بكري شيخ أمين
٣٢ ــ دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات
٣٣ ــ المذاهب الإسلامية الشيخ محمد أبو زهرة
٣٤ ــ في الميزان الجديد الدكتور محمد مندور
٣٥ ــ أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث الدكتور كمال نشأت
٣٦ ــ جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث الدكتور عبد العزيز الدسوقي
٣٧ ــ الديوان العقاد والمازني
٣٨ ــ الشوقيات أحمد شوقي
٣٩ ــ أنداء الفجر أحمد زكي أبو شادي
٤٠ ــ الشفق الباكي أحمد زكي أبو شادي
٤١ ــ ديوان البارودي محمود سامي البارودي
٤٢ ــ ديوان شكري عبد الرحمن شكري
٤٣ ــ أغاني الحياة أبو القاسم الشابي
٤٤ ــ الشعر العراقي الدكتور يوسف عز الدين
٤٥ ــ حياة مطران طاهر الطناحي
٤٦ ــ تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر الدكتور ابراهيم أبو الخشب

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
القسم الأول	
الحياة الأدبية في العصر الحديث	٩
تمهيد	٩
الأدب في العصر الحديث	**١٢**
١ ــ الاتصال بحضارة الغرب	١٢
٢ ــ إحياء التراث الفكري والأدبي	١٤
العوامل التي أثرت في ازدهار الأدب الحديث	**١٧**
أولاً ــ التعليم	١٧
ثانياً ــ البعوث العلمية والترجمة	١٨
أثر الترجمة في النثر	١٩
أثر الترجمة في الشعر	١٩
ثالثاً ــ إحياء التراث العربي	٢٠
رابعاً ــ الصحافة	٢٠
أثر الصحافة في الفكر واللغة والأدب	٢١
خامساً ــ المكتبات	٢٢
سادساً ــ المجامع العلمية والجمعيات العلمية والأدبية ...	٢٢

الموضوع	الصفحة
سابعاً — الاستشراق	٢٢
طرق الاستشراق	٢٣
من المستشرقين	٢٤
أثرهم في الفكر واللغة والأدب	٢٤
ثامناً — المسرح التمثيلي	٢٥
أثر المسرح التمثيلي	٢٥
تاسعاً — الإذاعة	٢٥
أثرهـــا	٢٦
المدارس الأدبية في العصر الحديث	**٢٧**
المدرسة الاتباعية الكلاسيكية	٢٧
الخصائص الفنية لمدرسة البارودي	٢٨
١ — محمود سامي البارودي	**٣٠**
نماذج من شعره	٣٢
٢ — أحمد شوقي	**٣٣**
عوامل شعرية	٣٣
خصائص شعره	٣٥
١ — معانيه وأسلوبه	٣٥
٢ — أغراضه الشعرية	٣٨
المدرسة الابتداعية «الرومانسية»	٤١
أ — مدرسة الديوان	٤٢
عباس محمود العقاد	**٤٣**
ب — مدرسة أبولو	٤٦
صلة أبولو بالرومانسية	٤٧

الموضـــوع	الصفحة
خصائص الشعر عندهم	٤٧
الدكتور أحمد زكي أبو شادي	**٥٠**
العوامل التي أثرت في أدبهم	٥٢
خصائص أدبهم	٥٢
١ ــ النزعة الروحية	٥٢
٢ ــ النزعة الانسانية	٥٣
٣ ــ الحنين إلى الوطن	٥٣
٤ ــ النزعة القومية	٥٣
٥ ــ النزعة التأملية	٥٤
٦ ــ الرمزية	٥٤
القسم الثاني	
في تحليل النصوص الأدبية ونقدها	٥٥
معنى الربيع ــ للشاعر السعودي حسين سرحان	٥٥
نشأته وحياته	٥٩
عوامل شاعريته	٦١
الغرض من القصيدة	٦٣
الخصائص الفنية في شعره	٦٤
حسين سرحان بين النقاد	٦٨
مدرسة الشاعر	٧٠
١ ــ مدرسة المحافظين في الشعر السعودي	٧٠
أ ــ الاتجاه الأول: الكلاسيكية التقليدية ...	٧٠
ب ــ الاتجاه الثاني: الكلاسيكية الجديدة ...	٧١
مدرسة المجددين في الشعر السعودي	٦١

الموضـــوع	الصفحة
يقولون – للشاعر العراقي الرصافي	٧٢
نشأة الشاعر وحياته	٧٨
عوامل شاعريته	٧٩
الغرض من القصيدة	٨١
الخصائص الفنية	٨٣
أولاً – خصائص الموضوع	٨٣
خصائص الأفكار في القصيدة	٨٦
ثانياً – خصائص التصوير الأدبي	٨٦
١ – خصائص الألفاظ والأساليب	٨٦
مآخذ على الأسلوب في القصيدة	٨٧
٢ – خصائص الخيال	٨٩
مآخذ في الخيال	٨٩
٣ – عناصر التصوير الأدبي	٩٠
منزلة الشاعر عند النقّاد	٩٠
اللغة العربية تنعي حظها – لشاعر النيل « حافظ ابراهيم »	٩٣
ترجمة تاريخية عن حياة الشاعر حافظ ابراهيم ...	٩٤
عوامل شاعريته	٩٦
الغرض من القصيدة	١٠٣
مدرسة حافظ ابراهيم الفنية	١٠٤
أ – الكلاسيكية (الاتباعية) القديمة	١٠٥
ب – الكلاسيكية الجديدة	١٠٥
الخصائص الفنية في القصيدة	١٠٦
أولاً – التصوير الأدبي	١٠٦
في الألفاظ والأساليب	١٠٦

الموضـــوع	الصفحة
الصور الأدبية	١٠٨
التصوير الموسيقي	١٠٩
عناصر التصوير الأدبي	١١٠
المعاني في القصيدة	١١١
منزلة حافظ بين النقاد والشعراء	١١٢
قصة قصيرة ــ (جريمة : للأستاذ خالد خليفة)	١١٤
نبذة عن كاتب القصة	١١٩
الخصائص الفنية لهذه القصة القصيرة	١٢١
أولاً ــ الحبكة القصصية	١٢١
ثانياً ــ الأشخاص	١٢٤
ثالثاً ــ الأسلوب في القصة	١٢٦
رابعاً ــ الزمان والمكان	١٢٩
خامساً ــ الأزمة والعقدة	١٣٠
سادساً ــ الحل	١٣٠
المقـــال	١٣١
حد البلاغة ــ من مقال للأديب الناقد أحمد حسن الزيات ...	١٣١
نشأته وحياته	١٣٥
كتاب دفاع عن البلاغة	١٣٦
الموضوع في مقال الزيات وخصائصه الفنية ...	١٣٩
خصائص الموضوع	١٤١
خصائص التصوير الأدبي في المقال	١٤٢
من أهم مصادر البحث ومراجعه	١٤٥
الفهرست	١٤٧

تمت بحمد الله تعالى

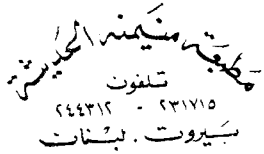
مطبعة منيمنة الحديثة
تلفون
٢٣١٧١٥ - ٢٤٤٣١٢
بيروت . لبنان